شيرين هنــائي



الكتاب الثاني - أبناء ديهيا



روايـــة

مُقدمة

الرواية التي بين يديك هي عالم ربما يتقاطع في بعض الأحداث الهامشية مع كتيب (بعد منتصف الليل) من سلسلة ما وراء الطبيعة، لكنها منفصلة تمامًا عمّا كتبه دكتور أحمد خالد توفيق في سلسلته.

لذا وجب له الشكر ولابنه الدكتور محمد أحمد خالد توفيق للتصريح لنا بهذا التقاطع.

إلى أيمن حويرة، ونهى عودة، وعمرو يسري -مع حفظ الألقاب-

هذه هي بداية حلمنا المشترك..البداية فقط.

الفصل الأول

أنا.. لاشين

لا شك أنها الحقيقة الأهم التي يجب عليك استيعابها. إلى جانب كوني الأول، والأخير. ولنحمد الله على هذا. فالعالم لن يتحمل معرفة حقيقة ما مررت أنا به، ولا ما تسببت فيه، ولا ما أصبحت عليه.

أي لاشين آخر لا يعوّل عليه، سواء كان من عائلة الدجّال الأشهر في طنطا: الشيخ لاشين، أو كان من خارجها. أي لاشين آخر عليه أن يتوارى حتى تنتهي الأزمة التي تسببت فيها عمدًا وبلا قصد.

هل يستأهل الأمر أن أحكي؟ لم أدرك ضرورة ذلك إلا متأخرًا، وكان لا زال بداخلي ما يشفق على البشر ومصيرهم لو ظلوا على جهلهم. وأحيانًا ما أرى أن الجهل نعمة، فلو أن رصاصة خرجت من مسدس لتصيبك بعد كِسر من الثانية، فبماذا ستستفيد لو عرفت أنها انطلقت؟ لا وقت للفرار، ولا لصلاة أخيرة.

لكنني سأحكي.. كفعل بشري أخير، ولأنني وعدت سهير زاهر، سأحكي.

***

حكيت لكم في الكتاب السابق عن معرفتي بمهنة أبي دجال طنطا الشهير «لاشين» وكيف مات وأورث أخي الأكبر الحبيب أنيس لعنة عهد الدجالين كي يُكمل من بعده طريق إدخال الشياطين إلى عالمنا.

حكيت لكم عن فشل تجاربي مع أخي في حبس الشياطين داخل أجساد حيوانات، وعن مرضي وعن ابتعاد أخي عني كي يُضحي بحياته هو وأمي وأعيش أنا.

حكيت عن العهد الذي انتقل لي من بعد أخي، وكيف خدعت الشياطين التي عبرت، وهضمهم جسدي ليصيروا جزءًا منه تمامًا كالخلايا.

لم أعد بعدها آدم لاشين، المعيد في كلية الهندسة قسم القوى الكهربية. صرت كيانًا لا يشعر بشيء سوى الغضب وشهوة الانتقام ممن أخذوا مني أخي وأمي وحياتي، وأبعدوا عني حب مراهقتي؛ سهير زاهر.

في اليوم الأول من نوفمبر عام ٢٠٠٧، وكان عمري وقتها ستة وعشرين عامًا، بدأت حياة جديدة بدفن أخي وما تبقى من أمي. ثم جلست حينًا في منزلنا القديم أفكر فيما عساي أفعله بنفسي بعد ذلك.

عليّ أن أعود إلى القاهرة وإلى عملي في الجامعة، لكن يجب ألا أنسى أبحاثي وتجاربي التي ستقودني إلى الانتقام. لقد نجحت في هضم الشياطين واكتسبت قوى جديدة لا أعرف حدودها بعد. فلأكمل في تجاربي على نفسي وبما تبقى من صفحات في كتاب عهد الدجالين الخاص بي.

لكن الأبحاث تحتاج إلى المال..ولا يوجد مال أفضل من مال أبي الذي بناه بالسحر كي أنفقه على تدمير كل ما بناه. لذا، تحاشيًا للفت النظر إليّ أكثر، سحبت كل المال الذي تركه أبي في حسابي ووزعته ما بين منزل أبي وشقتي في القاهرة وسيارتي، ودفنت قسمًا منه في مكان أمين في مقابر عائلة أمي.

هكذا أنا مُستعد لحياتي الخطرة الجديدة.

***

مؤقتًا، نقلت مقر تجاربي إلى بيتنا القديم، لكنني تركت أغلب ممتلكاتي في القاهرة. فالبناية هناك آمنة أكثر، ثم فسخت كل تعاقدات إيجار الأرض فضمنت ألا يقترب أحد من المكان.

لم يناقش أحد قراراتي، فكان مستأجرو الأرض يجلسون أمامي يرتجفون، لا يعلمون ما دهاهم. لا يُجادلون حتى في حقوقهم المادية التي تعمدت ألا تكون عادلة. أعرف أن إثارة الهلع صار تأثيري الدائم على الناس، لكن لا أخفي عليكم أنني قد أحببت هذا التأثير. أحببت نظرة

الخوف في أعين أهل البلدة بعد أن أمضوا سنوات عمرهم لا يجرؤون على معاداة أبي وأنيس بشكل مباشر، فكانوا يصبون عداءهم ضدي ويحثون أبناءهم على نبذي وضربي بلا أي سبب.

كنت أسمعهم يضحكون، الأبالسة التي تجري في عروقي. لا أعرف أسخرية مني، أم تشجيعًا لقراراتي، أم إخفاء لذعرهم.. أم هو فقط جنون الشياطين؟

أمضيت ما تبقى من إجازتي من الجامعة في القراءة والتمارين الرياضية. عليّ أن أزيد قوتي البدنية كما كان يوصيني أنيس. حاولت ألا أدخل حجرة أبي وألا أفكر في فيما حدث وقتل أخي ومزق أمي هكذا.

لكن هيهات..

لو أن أنيس أنهى صفحات كتابه ليجعل الشياطين تشفيني، وقتلته الشياطين بعدها، فهذا مفهوم. لكن لماذا تبعثرت أشلاء أمي هكذا؟ ما دخلها أصلًا؟

أم تراه الانتقام مما فعلنا حين حبسنا الشياطين التي عبرت في الجدي وقنوا بفنائه؟

يجب ألا أنسى أن ما فعلت أنا بهم وبإفناء شياطينهم في جسدي أستحق انتقامًا أبشع، لكن متى يحين؟ وهل يعرفون ما فعلته بدقه؟

الوقت في عالمهم يختلف عن الوقت في عالمنا كما قرأت مسبقًا. هل يسير بشكل أسرع أم أبطأ؟ لا تهم هذه المعلومة الآن قدر أهمية أن آخذ احتياطاتي من محاولات انتقامهم مني وربما قتلي.

لكن.. ماذا قد تكون هذه الاحتياطات؟

***

فردت سجادة الصلاة أمامي.

سجادة أمي هي، وقد اهترأت عند موضع السجود. لا زالت رائحتها

الطيبة فيها.

لم أكن من المواظبين على الصلاة، ولم يكن أحد يواظب عليها في بيتنا سوى أمي وأنيس. تربيت وشعور الرفض والنبذ يرافقني، وكنت دائمًا أظن أن الله يكرهني.

«من أحبه الله، أزاد في قلوب خلقه حبه.»

هكذا كنت أسمع من رفاق الدراسة، وكان وضعي بالنسبة لي هو خير دليل على صدق هذه المقولة.

لكني الآن لا أجد سوى الله ملجئًا. لا أعرف إن كان سيفتح بابه لي.

كان الفجر قد اقترب، فتوضأت وأنا أشعر أن ماء الوضوء يلسع جلدي نوعًا. ربما كنت واهمًا لا أكثر.

وقفت أمام السجادة ورفعت كفي مُكبّرًا. بركن عيني لمحت ظلًا يتحرك عند مكتبي. التفت فلم أر شيئًا. مع بداية قراءتي لسورة الفاتحة تحدثوا..

للمرة الأولى تتحدث الشياطين التي ذابت في جسدي..

كانت تتحدث كأنها أنا، وكأن ما أسمع هو حديث نفس لا أكثر. أتفهمونني؟ أتعرفون كيف تبدو أصواتكم في عقولكم؟ كيف تعرفون أنها أنتم، وكيف تخبركم بأمور قد لا تريدون التفكير فيها؟ كيف تبدو تلك الأصوات كأنها لأشخاص آخرين داخل أدمغتكم؟

قالت لي نفسي/ شياطيني:

«آدم.. ذو الرمح حارس العهد هنا.»

ما جعلني أعرف أنها الشياطين هو أنني لا أعرف من هو ذو الرمح حارس العهد. أم أن هذا عقلي الباطن وقد منح الشيطان الشبيه بالوطواط اسمًا ودمجه مع ذاك الذي قتل أبي برمح؟

توقفت آيات سورة الفاتحة على لساني وأنا أتابع الحركة عند ركن عيني

من الجهة الأخرى. التفتُ سريعًا ومن جديد لم أرَ أحدًا.

«آدم.. لو أصابك لمُت.. ولو مُت لفنينا معك.. لا علاج لضربته لدينا.»

أهو اختبار من الله لنفسي؟ أم أن هنالك خطرًا حقيقيًا عليّ؟

أغمض عيني وبدأت في استكمال الآيات، وعندما أنهيت الفاتحة وبدأت في تلاوة سورة قصيرة، ثم وجدت جسدي ينحني رغمًا عني فأسقط أرضًا..

سمعت صراخهم داخلي، لم يكن صراخ استغاثة أو ألم، كان صراخًا كأنهم يفعلون أمرًا يفوق قدرتهم، وشعرت بهواءٍ حار للغاية يندفع من فوقي..

«اهرب يا آدم الآن!»

تزايدت دقات قلبي وارتجف جسدي.. سجدت.. وجهي إلى الأرض يدعو الله. ماذا يحدث؟ ثم جلست محاولًا استكمال صلاتي والإعراض عن لغو الشياطين هذا. لكن خوفي غلبني والتفت خلفي لأرى رمحًا سوداء لامعة مغروسة في حشية الفراش خلفي.

لو لم أكمل صلاتي الآن فلن أكملها أبدًا. سأعرف أن الله قد رفض وقوفي بين يديه حتى لو كانت معرفتي هذه وهمًا لا أكثر.

سجدت السجدة الثانية وأنا أسمع أنينًا خافتًا داخلي. رفعت رأسي وقد شعرت بغضب مستعر لا خوف. لن أستسلم.. لن يقتلني مسخ ملعون. سوف يتقبلني الله لو لزمت بابه. تبًا للأوهام وللشياطين، تبًا!

تبًا لهم لو أنهم هم من أنقذوني!

أنهيت الركعة الثانية من صلاتي وختمتها. لا أعرف لم نويت صلاة ركعتين ولأي غرض. لكني كنت أريد أن أطرق باب ربي ولا أحتاج سببًا ولا مسمى.

قمت متوجهًا نحو الفراش -ولا أخفي عليكم ارتجاف أوصالي هلعًا وغضبًا- لأجده نظيفًا بلا أثرٍ للرمح. لقد اختفى الرمح الذي طعن أبي بعد

أن رآه أنيس بدقائق. الآن أتأكد أن ذا الرمح قد جاء لي.

جلست على الفراش ملصقًا ظهري بظهره الخشبي المثبت في ركنه مُلصق مطبوع عليه سورة البقرة، ثبتته أمي هنا حين اشترينا الفراش وأنا في الصف الخامس الابتدائي.

سألت بصوت مسموع:

من هو ذو الرمح؟ أهو من قتل أبي؟

سمعت صوت نفسي ترد عليّ وتقول:

«هو حارس عهد الدجالين. هو من أعطاك الكتاب وهو من يقتل الدجالين حين ينتهي عهدهم.»

كيف أعرف أن الشياطين التي صارت جزءًا مني هي من تحدثني لا نفسي؟

لقد أخبروني أن ذا الرمح جاء قبل أن أراه. أم أنني رأيته بطرف عيني أولا ودون أن أعي أدركت اندفاع الرمح نحوي فانحنيت؟ كيف أتأكد أنني لم أجن؟ هل هضم جسدي الشياطين حقًا واندمجوا بخلاياه أم أنني «ملبوس» آخر. ممسوس في أول أطوار المس وهم بداخلي يتحكمون في جسدي؟

لو كنت ممسوسًا فلماذا لم أهرع بحثًا عن عائل مناسب لشيطان أعلى. ثم أفتح له بوابة العبور كما ذُكر في كتب السحر التي قرأتها؟ لماذا لا زلت قادرًا على السيطرة على أفكاري.. لا زلت أنا..

الناس يخشونني ولا يخشون الممسوسين.

ماذا يحدث لي؟!

«آدم.. لقد صرنا كيانًا واحدًا. نعرف ما تعرف وتعرف ما نعرف. تمتلك جسدك وتمتلك أجسادنا. مصيرنا واحد.»

سألتهم:

لماذا لم يحاول ذو الرمح قتلي مرة أخرى فور فشل رمحه في إصابتي؟

«ذو الرمح لا يخطئ. لا نعرف لماذا لم يحاول قتلك مرة أخرى. ربما يعرف ذو الرمح أننا سنقتل لو مت أنت. ذو الرمح لا يهتم لفنائنا.. حارس العهد صار عدونا هو ومن أرسله.»

هل يعرف أنكم بداخلي؟!

«لا نعرف..ربما، وربما هو فقط يحاول قتلك..»

من أرسله؟ من يأمره بالقتل؟

«مامون..»

مامون؟ حسب تصنيف جون وايكليف «مشكاة النور» فالشيطان مامون واحد من الشياطين المسئولة عن إيقاع الناس في الخطايا السبع في المعتقد المسيحي، وهو الموسوس بخطيئة الطمع. لا أعرف إن كان أي من التصنيفات التي وردت في مشكاة النور أو شهادة سليمان أو تصنيف ألفونسو دي سبينا أو كورنيليس أجريبا أو غيرهم صحيح. فلم يذهب أحد إلى عالم الشياطين كي يعرف أسماءهم ووظائفهم.

قد تكون كلها صحيحة، وكلها خاطئة. لا سبيل للتأكد.. حتى الآن على الأقل.

لماذا يريد قتلي ولم أنه كتاب عهدي بعد؟

«لا نعرف. انتهت معرفتنا بمغادرتنا عالمنا، ولن نعرف بالمستجدات.»

هذا منطقي.. لكن..

اللعنة.. مرة أخرى لا أستطيع التأكد إن كان من يحدثني هم الشياطين أم نفسي. هويت بقبضتي على الحائط ورحت أضربه مرات حتى جرحت مفاصل أصابعي.

لقد جُننت..

قمت فغسلت وجهي –ولم أشعر بأي ألم- ونظرت إلى ملامحي منعكسة في المرآة..

لا تنسَ يا آدم ثأرك. ضع خطة والتزم بها، والأيام كفيلة بكشف بعض الحقائق، وعلمك الذي ستجنيه كفيل بكشف الباقي..

****

الفصل الثاني

أولا: كيف يمكن حمايتي من هجوم شيطان؟

ثانيًا: كيف يمكنني قتل شيطان؟

ثالثًا: لو ابتلعت المزيد من الشياطين هل سأكون أقوى؟

السؤال الأول إجابته بسيطة، لو أن الشياطين لا يمكنها الخروج من حيز مجال مغناطيسي قوي، فلا يمكنها إذًا الدخول إليه.

هل أعيش داخل قفص صيد الشياطين؟ بالطبع لا. لكن يمكنني إحاطة جزء من المنزل بأسلاك تولد مجالًا مغناطيسيًا.

إلى متى؟ سيقودنا هذا إلى السؤال الثاني، والإجابات التي لدي هي أن الشياطين من المرتبة الدنيا تموت في عالمنا ما لم تجد لنفسها جسدًا تسكنه، ولا يمكن أن تجد جسدًا دون طقوس عهد الدجالين التي يجريها ساحر.

يمكن أن تموت تلك الشياطين كذلك لو حُبست في أجساد حيوانات كما جربت من قبل.

لكن ذو الرمح يبدو مختلفًا. هو لا يأتي بطقوس عهد الدجالين، ولا يحتاج إلى جسد بشري يعيش فيه، وربما يأتي بإذن من شيطان أعلى لو أن ما

عرفته من شياطيني لم يكن حديث نفس.

هل تقتل حريته الشياطين كما تقتل البشر؟

سؤال هام للغاية..

وارد أنها تقتل الشياطين، ووارد أنها تقتل البشر فتفنى الشياطين التي فيه إن كان ممسوسًا.

السؤال الثالث إجابته تحتاج إلى تجربة، ولا يمكن إجراء تجربة دون أن أحمي نفسي من هجمات ذو الرمح الذي لا أعرف متى سيعود لي.

«آدم.. أنت في أمان في الصباح. لا يستطيع ذو الرمح التجسد إلا ليلًا بعد أن يجمع طاقة الضوء نهارًا..»

معلومة أخرى قد تكون مصدرها الشياطين أو قراءاتي السابقة. لن أعرف دون أن أجرب. سمعت أذان صلاة الظهر، وانتابتني قشعريرة قاومتها. سألت نفسي/ شياطيني:

هل يتسبب صوت الأذان في إيذائكم؟

«الذبذبات.. الترددات.. الإيمان..»

أريد إيضاحًا أكثر.

«لا نعرف.. لا نملك كلمات الإيضاح..»

أمر غريب..

قائمة تجاربي تزداد ولا أملك وقتًا. قررت إجراء التجربة الأولى بعد صلاة الظهر التي لازمتني فيها وخزات في أنحاء جسدي.

ركبت السيارة الفيات المستعملة التي اشتريتها من زميل لي بالقسط بعد تعييني، فقد كنت وقتها مريضًا وأحتاج إلى ما ينقلني من وإلى الجامعة دون الحاجة لركوب المواصلات أو السير. كنت أستطيع شراء سيارة أفضل بالمال الذي وضعه أبي في حسابي –وهي ثروة كبيرة- لكنه في

النهاية مال حرام. لم أضطر إلى مَسّه إلا لمواجهة الشياطين التي جلبها على رؤوسنا.

توجهت إلى القرية القريبة كي أبتاع أسلاكًا، وكروت شحن للهاتف المحمول وطعامًا. لم أر أثرًا لذي الرمح في أي مكان. كل من قابلت هناك قدموا لي الخدمات دون كلمة واحدة، بينما خرج المشترون من المحال ووقفوا عن الجانب الأبعد من الطريق ينتظرون انصرافي، وهو أمر لم يكن يحدث في الماضي. فقد كانوا يتعمدون الاحتكاك بي وتسديد النظرات الحانقة نحوي والاستيلاء على دوري في الحصول على المشتروات.

ابتسمت رغمًا عني وأنا أضع بكرة الأسلاك الكبيرة فوق سقف السيارة وأربطها وأنا أنظر نحوهم، حتى أن البعض قد ابتعد عائدًا من حيث أتى وقد صرف النظر عما كان يريده.

للأسف.. أنا سعيد بذعرهم مني.

***

في المساء، تكورت داخل قفص المجال الكهرومغناطيسي الذي حبست فيه الجديّ من قبل، وتدثرت جيدًا بالغطاء كي لا تمس أحد أطرافي الأسلاك فتتأذى الشياطين المندمجة بخلاياي وأتأذى أنا.

أمضيت النهار أثبت الأسلاك على حوائط حجرتي والحمام، وبنيت ممرات من أعمدة خشبية -وجدتها في المخزن- توصل بين غرفتي ودورة المياه، وبين غرفتي وباب المنزل، وغدًا إن شاء الله أثبت عليها الأسلاك وأشغّل المجال المغناطيسي ليلًا فقط تجنبًا للتعرض الزائد له، وتحاشيًا لاستهلاك الكهرباء أو زيادة الحمل على توصيلات المنزل حتى أجد حلًا مع ذي الرمح هذا.

أما الليلة فلم أجد سوى القفص مأوى لي.

أي حياة تلك التي أعيشها؟ هل أخطأت حين أقحمت نفسي في كل هذا؟

أنا لم أقحم نفسي، وما حدث كان ليحدث، وما كنت لأؤذي بريئًا خوفًا من عهد شيطاني. ما كان أنيس ليفعل هذا أيضًا.

هذا طريق لم أختره، لكنني اخترت كيف سأسلكه. اخترت أن أحارب لا أن أستسلم.

غدًا أنهي ما بدأت، ثم أستخدم الكتاب لاستحضار المزيد من الشياطين وأرى إن كنت سأستطيع تحملها، وإن كانت ستمنحني قوة أكبر.

غمغمت بصوت مسموع كي أشجع نفسي:

غدًا ألتهم المزيد من الشياطين على الغداء..

سمعتهم يصرخون:

«آدم.. ماذا تعني؟ لا تستحضر المزيد من الشياطين.. لن تتحمل..»

قلت بصوت مسموع كي أستطيع أن أفرق بين ما أقول وبين ما يوسوسون لي به:

وما أدراكم؟

«آدم.. نحن نحميك، وأنت تعرف هذا جيدًا. لماذا تريد المزيد؟ أنت لم تختبر حدود القوة التي منحها لك وجودنا بعد.»

هل ما زلتم أحياء بداخلي؟

«أجسادنا الطاقية اندمجت بجسدك، أما وعينا فلا زال موجودًا. طاقتنا تسربت في خلاياك. نحن وأنت صرنا واحدًا. هذا أفضل وضع يمكننا تمنيه. لن نعود لعالمنا وعذاب عبوديتنا ولن نفنى في عالمك مثلما حدث مع من أرسلوا من قبلنا، لهذا السبب نحافظ عليك.»

هل كنتم عبيدًا؟

«أجل.. لهذا يضحون بنا في عالمكم لتجد لهم أجسادًا بشرية وتفتح لهم بوابات المرور ونفنى نحن بعدها. نحن نكرههم ونكره بعضنا ونكره البشر.

لا يمكننا الكذب عليك الآن فوعيك هو المُسيطر.. سنحميك يا آدم كي لا نفنى. هذا اتفاق عادل وصريح.»

وكيف تعرفون أنني لن أتحمل المزيد من الشياطين؟

«لا نعرف لكننا لن نتحمل المزيد من الكراهية.. لا تجلب لنا المزيد.»

لن تأمرني الشياطين من أنصاع.. أتفهمون؟ هذا جسدي أنا وعالمي أنا وحياتي أنا..

ثم صرخت:

مفهوم؟

لم أسمع إجابة. هم مضطرون لحمايتي إذًا. جيد.. هم يحتاجونني بينما أنا لا أحتاج إلا لله وما أعطانيه من علم. لو متُّ فأتعشم في الجنة، بينما هم إلى جهنم بلا مهرب. أغمضت عيني محاولًا النوم وقد بدأ الطنين يتعالى في أذناي بسبب المجال المغناطيسي.

«آدم..»

فتحت عيني مرة أخرى وتنهدت.

ماذا؟

«آدم.. لو بحثت عن بوابة عبور من هم أعلى منا، يمكنك اكتساب المزيد من المعرفة..»

وما الذي غير وجهة نظركم؟

«لم تتغير. كل ما كنا نرفضه هو أن تبتلع أنت من سيعبر..»

هل تعرفون مكان بوابة؟

«أجل.. لكنك في حاجة إلى إنسان بمواصفات محددة سندلك عليها كي يسكن فيه من سيعبر من البوابة. لن يعبر دون جسد إنسان حي ودون

دمائه.»

أين هي البوابة؟

«الجسد أولًا ثم البوابة.. لن تُفتح دون جسد، ولن تراها دون دماؤه.»

قمت جالسًا وقلت بلهجة تقريرية:

سأكون أنا هذا الجسد.

«كلا.. كلا!»

لن أخطف شخصًا بريئًا كي يعبر سيدكم في جسده. ولو فعلت، كيف سأخرجه منه؟ كيف سأحصل على معلومات أكثر؟»

بعد صمت ساد هنيهة أردفت:

«أنتم لا تريدون شريكًا في جسدي.. هذا هو كل ما في الأمر. لا زلتم تطمعون في خدمة سيدكم اللعين وجلبه إلى عالمنا كي يجد لكم حلًا وتنتهوا من حبسكم بداخلي، أليس كذلك؟ مجرد عبيد أذلاء! هل أكرر مرة أخرى أن هذا جسدي أنا ولا سلطة لكم عليه دون إذني؟»

لم يرد أحد. أرحت رأسي على الوسادة وقد زال النوم عني. أين هذه البوابات؟ هل من سبيل للوصول إليها ونصب فخ كهرومغناطيسي أمامها وابتلاع ما سيعبر منها؟ علي أن أحذر من الاندفاع إلى أرض ملغمة ولا سلاح معي سوى بضعة أسلاك وشياطين واهنة أنانية. لكن، ظلت فكرة التهام شيطان أكبر تداعب عقلي طيلة الليل، حتى أنهكني الصداع فنمت وفي عقلي يدور سؤال ملح: هل يمكنني الاعتماد على شياطيني في تنبيهي لقدوم ذي الرمح وحمايتي منه، أم أنني سأضطر لأن أسجن داخل مجال مغناطيسي من الغروب حتى الشروق يوميًا حتى أموت؟

***

في اليوم التالي، وبعد عمل مستمر من الفجر حتى العصر، أنهيت تثبيت

الأسلاك آخيرًا. لن يستطيع ذو الرمح اختراقها وقتلي.

وقفت وسط الممر في الصالة ورائحة العرق تفوح مني. أنظر حولي وأفكر في طريقة تعزلني عن التأثر بالمجال الكهرومغناطيسي القوي الذي سأتعرض له لنحو تسع ساعات يوميًا على الأقل.

هل أبني داخل حجرتي قفص فاراداي فيعزلني عنها؟ هل سأعيش في قفص كالدجاج؟!

دخلت الحمام وبدأت في حلاقة ذقني وشعري بنفسي، كما اعتدت منذ صغري. فكانت أمي تحرص على قص شعرها والحلاقة لي ولأنيس وأبي بنفسها ثم تجمع الشعر بدقة وتحرقه كما يوصي أبي دائمًا. ظللت متمسكًا بهذه العادة دون أن أفكر فيها إلا الآن. المهندس آدم لاشين يتطير كالجهلة..

لكن هل كنت لأؤمن بالسحر والشياطين ما لم أرَ وأختبر بنفسي؟ كل شيء وارد، وفي حالتي الحيطة أفضل من الندم.

أحرقت ما قصصته من شعري واستحممت، ثم وقفت أصلي العصر.

«آدم.. لقد نسيت شيئًا هامًا..»

تعوذت بالله من الشيطان الرجيم في سري. كدت أضحك للمفارقة، فأكاد أنا أكون الشيطان ذاته.

صمتوا، وشعرت بحرارة داخلي أغرقتني في العرق مرة أخرى في ثوانٍ. أنهيت الصلاة وجلست أقرأ وعيناي لا تفارق الساعة. الغروب قد دنا..

«آدم.. لم لا تثق بنا؟»

ضحكت وقلت:

لأنكم شياطين؟

«لكن مصلحتنا واحدة. لماذا قد نؤذيك؟»

نفس الإجابة السابقة.

كنت أقرأ عن الطرق المختلفة لطرد الشياطين، فلعلي أجد فيها ما يساعدني في ورطتي ويخلصني من ذي الرمح.

في البوذية طقس «جوتور» -الذي يقام في اليوم التاسع والعشرين من الشهر التبتي الثاني عشر- الذي تبدأ فيه المعابد طقوس راقصة تهدف لطرد كل ما هو سلبي وكذلك الأرواح الشريرة. وفي الليل يخرج الناس بالمشاعل مرددين كلمات بصوتٍ عالٍ لطرد تلك الشرور.

في المسيحية –مع اختلاف بعض التفاصيل بين الطوائف- يقوم رجل دين مختص بطرد الشياطين بتلاوة نصوص وصلوات محددة على الشخص الممسوس، مع استخدام رموز دينية كالصلبان وقلادات القديسين والماء المقدس، ويستعين طارد الشياطين بالله ويسوع والملائكة على تخليص الممسوس من عذابه، وإعادة الشياطين إلى الجحيم.

تحوي الكتب الأربعة المقدسة عند الهندوس أسرار طرد الأرواح الشريرة، وفيها صلوات محددة للمعبود هانومان تُرعب الشياطين وتطردهم.

وفي الإسلام من يعتقدون بتلبس الجن بالأجساد البشرية، وإمكانية طردها بتلاوة آيات معينة من القرآن الكريم، وقد يحتاج الأمر إلى ضرب الممسوس أو سقيه ماء تُليت عليه آيات قرآنية. هذا ما كنت أراه في المولد، ولم يكن ما يفعله أبي بالطبع قريب من هذا الطقس بأي شكل.

في اليهودية تؤدى طقوس تعتمد على تقديم أضحيات حيوانية للرب. تؤدي تلك الطقوس على يد شخص يتقن القبالة يُدعى «رابي» بمساعدة مجموعة من عشرة أشخاص يلتفون حول الممسوس ويرددون المزمور الحادي والتسعين ثلاث مرات، ثم ينفخ الـ«رابي» في قرن كبش أجوف بطريقة معينة مُطلقًا نغمات بنوتات محددة بغرض فك ارتباط الشيطان بالجسد البشري وسهولة التواصل معه وطرده.

الديانة الطاوية في الصين تمارس طقوسًا قوامها الإنشاد والحركات الجسدية والصلوات لطرد الأرواح الفاضية، بينما يتعمد مقيمو الطقوس جرح أنفسهم إيمانًا منهم أن الدم سيحميهم من إيذاء الأرواح، ثم تُلطخ أبواب بيت الممسوس بهذه الدماء لتحميه.

على اختلاف كل تلك المعتقدات، هناك أربعة عوامل مشتركة:

١- تأثير الإيمان بإله أو معبود ما.

٢- تلاوة صلوات معينة بصوت عال بشكل جماعي على الأغلب.

٣- أداء حركات جسدية معينة أو استخدام أدوات بغرض الحماية أو التأثير على الشياطين والأرواح الشريرة.

أما العامل المشترك الأخير هو:

٤- لا تفلح هذه الطقوس في قتل الشيطان، بل تهدف إلى إعادته من حيث جاء.

لا سبيل لدى البشر لقتل شيطان.. حتى الآن. لا زلت آمل أن تُسفر رحلتي العجيبة عما هو أكثر مما توصل إليه الجميع، فلم يستطع أحد من قبل فعل ما فعلت.

«آدم.. لقد نسيت شيئًا..»

تبًا! اخرسوا! لم أنس شيئًا!

الشمس تغرب. أقف عند النافذة أنظر إليها تهوى خلف الأشجار. دقائق وسيؤذن للمغرب.

هل نسيت شيئًا حقًا؟

دخلت كي أضع هاتفي المحمول في جيبي، وأضع محفظتي وحقيبة صغيرة بها بعض أدوات تصليح الكهرباء مع الريموت الذي أشغل به قفص التحضير القديم، وكتاب عهد الدجالين ومصحف صغير في حقيبة ظهري.

ماذا نسيت؟ ماذا سأحتاج لو اضطررت للفرار؟

يصدح صوت أذان المغرب. أشغل المجال المغناطيسي وأتأكد أنه متصل بالمولدين الاحتياطيين في حال انقطاع التيار الكهربي. أمسك بسجادة الصلاة وأفرشها على الأرض...

الأرض!!

لقد نسيت الأرض!

في تجاربي السابقة لاستحضار الشياطين في القفص، كنت استخدم الكتاب لفتح البوابة، ثم حين يعبر الشياطين ويتلبسون بالضحية –الجديّ في المرة الأولى وأنا في الثانية- كنت أشغل المجال المغناطيسي فأمنعهم من العودة إلى البوابة ولا يجدون مفرًا سوى التلبس بالجسد المتاح أمامهم. أما حالة ذي الرمح فمختلفة؛ هو يتجسد من طاقة اختزنها لا من بوابة يعبرها. أي أنه قادر على التجسد داخل القفص وقتلي ثم الاختفاء مرة أخرى! كان عليّ تغطية الأرض بالأسلاك حتى إذا تجسد زاحفًا عليها كعادته تؤذيه ملامسته لها فينصرف أو يتعطل فأهرب.

«آدم.. لم تنصت لنا. هل فهمت الآن؟! ذو الرمح لن يخطئك مرة أخرى!»

كان صوتهم مرتعبًا بحق. رعبهم يزيد من توتري ويُرجف يدي. أجمع الأسلاك سريعًا وأهرع إلى القفص الأصغر. تجهيز أرضيته سيكون أسرع من تجهيز أرضية حجرتي بالكامل.

«آدم.. ذو الرمح عن يسارك!»

نظرت يسارًا ..كان يجلس في ركن حجرتي ممسكًا الرمح وطرفه المُدبب إلى أعلى. لثوانٍ لامس ظهره السلك من خلفه، فتذبذب وومض ثم اختفى.

دخلت سريعًا إلى القفص وأوصلته بالتيار، ورحت أجهز أسلاك الأرضية. سيتطلب الأمر وقتًا..

«آدم..خلفك!»

قبضت على الأسلاك الموصولة فصرخت، وصرخوا بداخلي. جذبت كل ما في يدي ودرت حول نفسي. ألم حارق لم أشعر بمثله من قبل.

ضوء باهر أعماني لثوان ثم رأيت الكيان الأسود يختفي. لقد أصبته. التصقت الأسلاك بلحمي وبدأت في الذوبان، وانفصلت عنها الكهرباء. القفص يهوى على رأسي.

زحفت خارجًا وارتميت على الأرض أركل الأسلاك بقدماي. الصراخ لا يكف عن التردد في عقلي.

لو جاء ذو الرمح الآن لن يلتفتوا لحضوره!

تراجعت إلى الحائط غريزيًا، فصعقتني الأسلاك مرة أخرى. اللعنة! الغضب يعميني والصراخ يصم أذني. النور يتراقص.. رائحة احتراق كهربية لعينة..

ثم أظلمت الحجرة للحظات، قبل أن أسمع هدير مولد الكهرباء وتُضاء الحجرة فأراه يزحف نحوي كالوطواط.. لم يكن وطواطًا بل هو أقرب للوح من الورق المقوى الحالك ينثني ويتكسر مَتكئًا على زاويتين أماميتين.

ثم يقوم منتصبًا ويرفع الرمح في سرعة أو بطء.. لا أعرف. أنا أرى كل تفاصيله وأرى كل مليمتر يطيره الرمح، ومع ذلك أرى سرعة حركته الخارقة وتموجات الهواء حول طرف رمحه إذ يخترق الصوت ويستقر بالضبط في صدري ويثبتني إلى الحائط.

ذو الرمح لا يُخطئ.

واختفى الشيطان بعد أن ظل ثواني ينظر تجاهي، ثم اختفى الرمح..

سقطت أرضًا عاجزًا عن الصراخ.. الصمت يلفني في عباءة سوداء.. يحجبني عن العالم.

هل أحتضر؟

سعلت.. شعرت بمذاق الدماء في فمي وعجزت عن التنفس.. أختنق..

انتهت رحلتي أسرع مما ظننت، لسبب واضح، لم يفلح أحد في الانتصار على الشياطين.. السبب هو أننا جنس مغرور يظن أنه سيخرق الأرض وسيبلغ الجبال طولا..

«آدم..»

هل ستموت شياطيني؟

«آدم..»

هل ستموت خطاياي؟

«آدم...»

هل سيقبلني الله؟

«آدم....»

***

«آدم..»

خجلانة هي ومستحية، لكن هنية..

قال كلمة هو وفي قلبه جود ناره القوية..

قال يا أمالي، قالت يا غالي..

غيرت حالي ساعة ما بانت..

الوقت مسا وهي لسه ولا هي حاسة..

آدم وحوا هي وهو.. الاتنين في قصة..

لكن ساعتها شافت ساعتها رجعت لبيتها..

وأنا حزنت..

«آدم!»

أشهق وافتح عيني.. صوت علي الحجار يتردد من هاتفي المحمول، واسمي يُنادى من داخلي.

في فزع أمسك قميصي وانظر إلى صدري في ضوء النهار الداخل من النافذة أمامي. القميص ممزق محترق.. لا زالت الأسلاك والعازل البلاستيكي ملتصقان بجلد كفي. لكن صدري كان سليمًا تمامًا اللهم إلا من آثار الدماء التي تغرقه وتصل حتى أعلى بنطالي..

أنا حي!

«آدم.. نحن نفنى.. الغوث..»

شياطيني تفنى.. لقد أنقذوني مرة أخرى وعالجوا جرحي لكن..

«استنفذنا أنفسنا في شفائك.. لم يكن لنا مفر إلا إنقاذ جسدك الذي يحوينا، والآن.. أنقذنا..»

ماذا أفعل؟!

رن جرس هاتفي المحمول مرة أخرى، وعلى شاشته ظهر رقم من القاهرة. كان المتصل من الجامعة يسأل عني، وعن موعد عودتي. طلبت مد الإجازة لظرف طارئ، ثم أغلقت الخط.

فليرفدوني إن شاءوا، لا أعرف حقًا ماذا سأفعل بنفسي وكيف سأحيا حياة البشر تلك.

جثوت على ركبتي وأمسكت حقيبة ظهري. أخرجت كتاب العهد ثم قمتُ أفحص الضرر الذي أصاب فخ الشياطين.

«ماذا ستفعل يا آدم؟»

لو جلبت المزيد من الشياطين ربما تستطيعون استخدام طاقتهم لشفاء

أنفسكم..

«وقد يفنونا تمامًا! نحن أضعف منهم الآن! رُد لنا الجميل وساعدنا!»

صرخت:

ماذا أفعل؟!

«وماذا قد يريد الشيطان من البشر أكثر من دمائهم؟ دماؤكم تشفينا.. تُحيينا..»

هتفت حانقًا:

سأشرب الدماء الآن؟ هل جننتم؟!

«لن تشربها.. ستدهن جسدك بها.. لا تعرف ما تحمله دماؤكم من حياة يا آدم.. ولن تعرف..»

تذكرت طقوس عبادة الشياطين اللعينة، ودهان الساحرات لأجسادهن بدماء الأطفال المخلوطة بقلوبهم الصغيرة المطحونة..

إلهي! ألكل هذه الخرافات أصل؟ أهي خرافات حقًا؟!

ماذا لو جرحت نفسي ودهنت جسدي بدمائي؟

«ستوهن جسدك..»

ستتجدد دمائي، لا مشكلة.

«ستوهن جسدك وستستنزف طاقتنا أكثر.. آدم.. أبناء قريتك يكرهونك، ولو لم يكونوا يخافونك لقتلوك..»

لن أقتل!

قلتها قاطعة بلا أي نية للنقاش، وركعت أصلح القفص. فليفنوا أو يذهبوا إلى الجحيم – وهي الوجهة الوحيدة المتاحة لهم مهما طال الأمد- لكنني لن أدير حياتي كما تشاء الشياطين اللعينة.

«آدم..»

لم أطلب أن تنقذوني. اصمتوا الآن أو افعلوا ما بوسعكم فعله. لن أهتم..

«لو عاد ذو الرمح فلن نقدر على حمايتك..»

سأجد غيركم!

وأشرت إلى كتاب العهد على الأرض.

إن كانت الشياطين تنوي قتلي قبل أن أنهي صفحاتي كتاب، فما الضير في استخدامها إذًا؟ ماذا سأخسر؟

***

«ذو الرمح لا يخطئ..»

هل تعرف الآن الشياطين في عالمها سر نجاتي مرتين؟ لا أعتقد أنهم سيستنتجون ما أفعله أبدًا. لابد وأنهم يشتعلون –حرفيًا- غيظًا مني.

ماذا قد تكون خطوتهم التالية؟

أنهيت إصلاح القفص، وأحضرت الدراجة الصغيرة والشوك وتهيأت للطقس كما فعلت في أول مرة. كانت شياطيني تئن في ضعف وتطالبني بالتوقف عما أنتوي فعله.

تمددت وسط القفص، وأحرقت صفحة من الكتاب، ورسمت الرمز على جبيني وانتظرت لحظات، ثم ضغطت زر جهاز التحكم عن بعد..

ولم يحدث شيء..

وسمعت ضحكات واهنة من داخلي.. ضحكات شامتة مقيتة..

«آدم.. البوابة لم تُفتح! لقد أنهوا استخدام هذا الكتاب وانتهى العهد معك لذا أرسلوا لك ذا الرمح!»

راحوا يضحكون وأنا ممدد عاجز عن التفكير..

«آدم.. لا ملجأ لك إلا نحن.»

صرخت حتى كادت الدماء تنفجر من عيني:

أين بوابة الشياطين التي أرسلوكم لفتحها؟!

«الجسد البشري أولا ثم مكان البوابة.. هذا اتفاقنا.»

لم يعد هناك المزيد من الشياطين، ومن بداخلي يذوون..

لابد من حل وإلا فأنا في مرمى ذي الرمح أو غيره. أنا مستهدف وعارٍ تمامًا من أي تحصينات..

لكنني لن أستسلم.. وأمسكت هاتفي المحمول أطلب رقمًا..

***

«مامون من يرسل ذا الرمح..»

سألت شياطيني وأنا أقود سيارتي متجهًا نحو مركزٍ قريب:

هل هناك أكثر من حامل للرمح؟

أجابوا في وهن ونفاد صبر:

«كلا.. هو واحد لكل العهود وخادم لكل الشياطين الكُبرى. لكن مامون هو من أرسل ذا الرمح هذه المرة.»

ما علاقة مامون بي؟

«هو من عقد معه أبوك عهده.. آدم، ليس عليك سوى أن تساعدنا فنحميك. لماذا كل هذا التعب؟»

لأن البقاء على قيد الحياة ليس هدفي الأهم.

وصلت إلى «إنترنت كافيه» وهو لمن لا يعرف من الجيل الأصغر منكم مكان به أجهزة كومبيوتر موصولة بالإنترنت، يرتاده من يريد استخدام محركات البحث أو لعب الألعاب الإليكترونية التي تحتاج إلى الشبكة

العنكبوتية.

في عام ٢٠٠٧ – حين دارت هذه الأحداث- لم يكن البحث على الإنترنت متاحًا في كثير من الهواتف المحمولة، بالإضافة إلى ضعف تغطية شبكة المحمول في الأماكن البعيدة عن المدن.

دخلت المكان الصغير سيئ التهوية وألقيت السلام؛ قام المراهقين الثلاث الذين كانوا يجلسون إلى الأجهزة وانصرفوا في صمت محاذرين أن يلمسوني، ولم يطالبهم الشاب الجالس إلى مكتب عند المدخل بأي مال.

السلام عليكم.. أريد جهازًا لمدة ساعتين أو ثلاثة.

لم يرد الشاب، لكنه أشار إلى الأجهزة العشرة، وخرج من المحل متحاشيًا النظر إلي. يبدو أن إحساس الناس بشياطيني لا يزال ساريًا حتى مع ضعفهم.

جلست إلى جهاز في نهاية الرواق، وبيدي المضمدة كتبت اسم الشيطان مامون في محرك البحث.

مامون في العهد الجديد ربما كان اسم شيطان، أو هو مسمى يطلق على الطمع والتعلق بالماديات. في إنجيل لوقا آية: «لا يقدر خادم أن يخدم سيدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويبغض الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال.»

بينما وردت الآية بالإنجليزية في إنجيل الملك جيمس وغيره مثل الإنجيل الأميركي النموذجي:

" No one can serve two masters. Either you will hate one and love the other, or you will be devoted to the one and despite the other. You are not able to serve God and mammon."

لست في مقارنة نصية، لكن كلمة مامون في العبرية تعني المال والثروة،

وكذا الحال مع تنويعات على نفس اللفظ في السلافية والبولندية والإستونية والفنلندية.

إذًا فالأغلب الكلمة تعني المال لا أكثر.

«آدم.. أسماء الشياطين التي تعرفونها هنا لا تمت بصلة لأسمائنا الحقيقية التي يستحيل التلفظ بها في عالمكم. لكننا نستخدم الأسماء التي تفهمونها وتمنحونها لنا.. مامون: سيد الطمع.»

لم أجد في البحث على الإنترنت أكثر مما وجدت، فباقي نتائج البحث تتحدث عن روايات وأفلام ظهرت فيها شخصية شيطان بهذا الاسم.

مرة أخرى كتبت في محرك البحث: طقوس طرد الشياطين والأرواح الشريرة.

من كتبي عرفت كل شيء عن تلك الطقوس، لكنني كنت أريد تجربة شيء آخر. وضعت سماعة الرأس على أذني، وبحثت في التسجيلات المصورة والمسموعة عن طقس طرد الشياطين الروماني Rituale Romanum:

مع تشغيل الصوت، بدأت الشياطين بداخلي في التذمر، وشعرت بشعور غير مريح خاصة من تكرار بعض العبارات التي لا أفهمها، وقد تعمدت أن أسمع الطقس بلغة لا أعرفها وأميز المواضع التي تزعجني.

همست:

ما الذي يؤلمكم؟

«الصوت.. الترددات.. لا نملك كلمات للتعبير.. كفا.. الرجل يصدق ما يقول.. الرجل يؤمن بما يفعل.. لمَ تؤمنون بخالق ولا تؤمنون بنا؟ لماذا؟!»

سأسمع المزيد ما لم تحاولوا التوضيح..

«كفى يا آدم.. لا نفهم البشر ونكرههم.. ما حاجتهم لإله؟ لماذا؟!»

استعذت بالله من الشيطان الرجيم، وانتقلت إلى الطقس الهندوسي.

صوت النغمات الرتيبة كان مزعجًا لي.. ولهم.. قلت لهم:

ما الذي يؤلمكم؟ هذا ليس دينًا سماويًا.

«الصوت.. الترددات.. لا نملك كلمات للتعبير.. كفى يا آدم..»

حمّلت كل الصلوات المتاحة من كافة الأديان والمعتقدات ونقلتهم إلى جهاز . Flash memory

خرجت من المحل بحثًا عن الشاب المسئول فلم أجده، فتركت له ثمن الوقت الذي استخدمت فيه الجهاز، ثم ركبت سيارتي قاصدًا القاهرة حيث سألتقي بزميلي هيثم فتحي في ستوديو الصوت الذي يعمل به.

***

كان ستوديو الصوت في شارع رئيسي في المعادي يطل على النيل. أوقفت سيارتي تحته، وأخرجت حقيبتي التي تحوي حاسوبي المحمول وطاقمًا من الملابس، فقد كنت سأبيت في القاهرة. ولم يفتني أن ألقي نظرة على الأسلاك والأخشاب ومولد الكهرباء الصغير المكومين في صندوق السيارة.

استقللت المصعد إلى الطابق العاشر وأنا أستعيد لحظاتي القليلة مع هيثم أثناء الدراسة في الكلية. تخصص هو في هندسة الإليكترونيات والاتصالات الكهربية، فدرس الصوتيات وفوق السمعيات. لم يكن صديقًا، بل هو شخص تقبّل وجودي دون شكوى، ولم أغامر أنا بالتقرب منه أكثر خشية خسارته.

حادثته هاتفيًا وطلبت منه بعض برامج الصوت، فاقترح أن أعرج عليه في عمله ومعي الحاسوب المحمول فينقل لي ما أشاء.

هل سأحكي له وأطلب مساعدته؟ قد يختصر هذا وقتًا طويلًا، لكن هل من عاقل يتحدث عما أمر به كأمر واقعي ويتوقع أن يصدقه أحد؟

لم أقابل هيثم منذ ظهور نتيجة السنة النهائية بالكلية، لكننا قد تبادلنا

أرقام الهواتف والبريد الإليكتروني. إلا أنني لم أجد سببًا من قبل لمحادثته رغم استمرار تبادل رسائل المعايدات بيننا.

طرقت الباب ووقفت دقائق، حتى سمعت صوت هيثم وانفتح الباب كاشفًا عن وجهه الأبيض المستدير ذي اللحية القصيرة البنية. اختفت ابتسامته وتراجع خطوتين. أعرف بالطبع ما اعتراه. سألته مازحًا:

هل رأيت عفريتًا؟

أبدًا.. لا أعرف ماذا دهاني. تفضل..

لم يمد يده كي يصافحني، ولم أبادر أنا بالتحية. أشار إلى غرفة جانبية توجهت إليها عابرًا فوق دلاء الدهان وأجولة الإسمنت والجبس. يبدو أنهم يجددون الديكورات. في الممر المؤدي إلى الحجرة اصطدمت بعامل في نهاية الثلاثينات تقريبًا، يرتدي ملابس مُبقعة ويفوح برائحة المعسل.

لا مؤاخذة يا باشمهندس..

قالها العامل مبتسمًا في وجهي ووقف ينظر إلى هيثم ويسأل:

«هندزة» مثلك؟

قال هيثم في ضيق:

أجل. مهندس آدم. هذا فريد..

قاطعه فريد ومد يده إلي وقال:

لو لم تكن مهندسًا لقلت لك أنني أنا الآخر مهندس في التشطيبات، لكن العين لا تعلو عن الحاجب. ستجد لدي أفخر أنواع الطلاء والـ«جبسومبورد» والأرضيات المستوردة. يبدو أنك «عريس».. أعرف «العرسان» بمجرد النظر.

ثم أخرج فريد بطاقة من جيبه مزدانة بنقوش قبيحة ذهبية وأردف:

هذه بطاقتي. حين تريد أن «تشطب» شقة الزواج اتصل بي وسآتي إليك

في أي مكان. أما..

قاطعه هيثم:

لا يقيم المهندس آدم هنا يا فريد.. دعك منه.

وأين تقيم يا «هندزة»؟ تبدو من المنصورة، أليس كذلك؟ يمكن أن آتي إليك في المنصورة.

قلت ولم يزل العجب عني:

لست من المنصورة. لكن حين أنتوي الزواج سأتصل بك بالتأكيد.

تحت أمرك..

كان الرجل لزجًا متفاخرًا ذا ذوق متدن، لكنه لم يخف مني. كيف؟ أتراه شيطان متلبس في جسد إنسان؟!

انتظرت أن تهمس لي شياطيني، لكنها ظلت صامتة. أفهم من هذا أنه لا يوجد خطر يحيق بنا على الأقل.

جلست على أريكة صغيرة في مكتب هيثم، ونقل هو كرسي جلدي إلى أبعد نقطة عني، ثم جلس ناظرًا إلى الأرض وهو يهز ساقه. قلت:

لن أطيل عليك. كنت أريد بعض برامج الصوت التي سأستخدمها في..

طبعًا.. تحت أمرك.. ماذا تشرب؟

لا شيء..

سأصنع قهوة.. لدي قهوة جيدة. هاك جهازي..

كتب هيثم كلمة المرور على لوحة المفاتيح، ثم أشار لي كي أجلس على كرسي مكتبه وأردف وهو يخرج ويترك الباب مفتوحًا:

خذ ما تشاء.. لدي أفلام رعب جديدة..

رعب؟ أكثر مما أنا فيه؟

خرج هيثم، وبدأت أنا في البحث عن البرامج. بالطبع لن يتحمل الرجل أن يمكث جواري يخبرني عن إمكانات كل برنامج، فرحت أنقل كل ما أجده من برامج لتعديل وتنقية الصوت ولاحقًا يمكنني التفرغ للبحث عن استخداماتها.

طريق طويل ملتف علي قطعه وحدي.. كم من الوقت تبقى لدي من الأساس قبل أن يأتي ذو الرمح مرة أخرى؟ هل استسلم وانتظر مصيري؟

تذكرت أنيس وأمي.. ولسبب مجهول تذكرت سهير. لن أنسى أن الأبالسة حرموني كل هؤلاء وأكثر. لن أستسلم.

رأيت انعكاس ظل خلفي على الشاشة، التفت بسرعة مُسددًا قبضتي الملفوفة بالضمادات نحو المتسلل. لا أعرف إن كانت اللكمات ستؤلم الشياطين، لكنني سأعرف حالًا.

آلمتني قبضتي حين اصطدمت بصدر فريد العضلي. كان تكوين الرجل الجسدي يشبه تكوين الغوريلا؛ أصلع الرأس، ضخم الجذع والذراعين، نصفه السفلي لا يتناسب وضخامة ما يعلوه، بالإضافة إلى نظرة الغباء في عينيه والتي تصرح أن «المعسل» الذي دخنه لم يكن بريئًا تمامًا.

ماذا يا «هندزة»؟! هل تلكم أي أحد يقف وراءك هكذا؟

قلت في عصبية:

ولماذا تقف ورائي أصلًا؟

كنت أريد سؤال المهندس هيثم عن شيء، ثم لمحت على الشاشة ملف أغاني، فقلت ألقي نظرة ربما أجد ما يعجبني. كنت سأتحدث إليك أقسم بالله لكنك باغتني.

مسحت وجهي بكفي ولم أرد عليه. ظل واقفًا مكانه، ثم مد إصبعه السمين إلى الشاشة وقال:

افتح هذا الملف وأرني ما فيه.

لماذا؟

مكتوب عليه: شعبيات. أريد أن أرى إن كان فيه أغانٍ من الزمن الجميل.

زمن جميل؟!

أعتقد أن مستمعي برنامج بعد منتصف الليل الذي يستضيف سهير زاهر قد عرفوا من هو فريد. كانت له قصة مع منزل أذاقه الويل بعد أن حاول هدمه ليبني مكانه برجًا سكنيًا مُخالفًا.

فريد لم يتعرف على صوتي حين اتصلت بالبرنامج لأن صوتي ولكنتي اختلفا كثيرًا، وبالطبع لم يعرف اسمي، فطيلة فترة معرفتي به لم أقل له اسم عائلتي وكنت بالنسبة له مهندس آدم لا غير. لكنني تذكرته فور سماعي لصوته في البرنامج، وكنت أعرف أنه رأى وسيرى الكثير من الأمور المرعبة لأنه ببساطة يستطيع استقبالها دون أن يخاف منها. فريد أغبى من أن يخاف قوى ما ورائية غير مادية، وقد أتت المخدرات على كل إحساس طبيعي لديه.

عاد هيثم ومعه القهوة وريهام؛ زميلة الدراسة المنطوية، التي كان حياؤها يمنعها من الحديث معي في ما يزيد عن حوار قصير مؤلف من سؤال وجواب لا غير.

هتف هيثم محاولًا أن يخبئ توتره:

آدم، ريهام تعمل معي هنا.

ابتلعت ريهام ريقها وأمسكت بطرف حجابها الواسع الذي يغطي صدرها. ابتسمت ابتسامة قلقة وسألت:

كيف حالك يا «باشمهندس» آدم؟ ماذا يحدث؟ أشعر باختناق غريب.

صاح فريد:

ربما هي رائحة «السيبيداج» .. ابنة أختي سماح لديها حساسية «على صدرها» وتختنق كلما اقتربت منها بملابس العمل.

همست ريهام:

لا.. ليست رائحة.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

قال هيثم في انتصار:

أنت أيضًا تشعرين بذلك؟! شككت في نفسي! ألا تشعر بشيء يا آدم؟

قلت بلا اكتراث:

كلا..

هتف فريد:

وأنا كذلك لا أشعر بشيء. ربما يكون «نجمكم خفيف» وقد تأثرتم بغفار المكان.

يقصد بالطبع من يسكنون المكان من الجن المسالم كما يُقال. ضيق فريد عينيه وأشار إلى حاسوبي المحمول وسأل:

ما الذي جد؟ الشقة طاهرة. هل توجد مقاطع من إياها –لا مؤاخذة يا آنسة- على هذا الجهاز؟ لا تؤاخذوني.. هذه هي النجاسة الحقة.

ضحكت رغمًا عني وأنا أمسك بجبيني وأقول:

كلا.. لا يوجد شيء من هذا.

لو تزوجت قريبًا سيعفو الله عنك. لا تقلق. لكن لا تنسني.. لك أسعار خاصة مني، فأنا أساعد الشباب على الزواج والحلال.

حيتني ريهام بهزة رأس وتراجعت خارجة تتبعها عيني فريد الذي همس لي:

عروس ممتازة. لي هنا شهر تقريبًا ولم أر منها إلا كل أدب.

قال هيثم في حنق:

«أسطى فريد».. من الجيد أنك لاحظت أن لك شهرًا هنا دون إنجاز، وقد مات عمك في كل مرة أعطيتك فيها حسابك مقدمًا. لا تأجيل أكثر من ذلك. تفضّل..

وأشار نحو باب المكتب. خرج فريد عاقدًا حاجبيه. نظر هيثم نحوي وسألني دون أن يقترب:

القهوة قد بردت.. هل وجدت ما تريد؟

أجل.. شكرًا لك.. نقل البرامج يحتاج إلى وقت كما تعرف.

ونظرت إلى الشاشة التي أوضحت أن الوقت المتبقي لإتمام النقل هو عشرون دقيقة، ثم أردفت:

ثلث ساعة. أعتذر لتعطيلك..

لا عليك. لو أردت أي شيء اتصل بي، وسأرسله لك عبر البريد الإليكتروني.. لا داعي للمجيء مرة أخرى.

نظرت إليه ويبدو أن نظرتي كانت مستنكرة أكثر من اللازم لأنه حاول أن يوسّع ابتسامته وأضاف:

أعرف أن الطريق من طنطا إلى القاهرة طويلًا، فقلت أسهل عليك لا أكثر.. آنرت المكان يا آدم!

***

كسا الغبار شقتي في القاهرة، لكنني لم أعبأ.

وضعت حقيبتي في الحجرة ودون أن أغير ملابسي ثم شرعت في إعداد قفص صغير لي كي أبيت فيه ليلًا. لم أنس بالطبع الأرضية مرة أخرى. ثم أدخلت فيه مقعدًا من مقاعد «الأنتريه» يسمح لي بالجلوس عليه ورفع قدماي عن الأرضية.

هل أجلس فيه وأوصل الأسلاك طيلة الوقت أم أثق في شياطيني الغاضبة الضعيفة وأنتظرهم أن ينذروني؟ لن أثق بأحد..

هكذا صليت ما فاتني ثم دخلت القفص وتربعت وأوصلت الكهرباء والمولد. لا مناص من الجلوس في مكان ضيق كهذا، فلا أنتوي أن أمكث هنا طويلًا على الأقل حتى أجد حلًا لمحاولات اغتيالي.

مر الليل عليّ وأنا أقرأ في كتاب عن السحر حتى وصلت إلى ما يسمى بمغارة دانيال، وهي مكان لتعليم الشعوذة والعهود الشيطانية. يقال أنها تقع في المغرب، وأن عليها «رصدًا» يمنع الوصول إليها بسهولة.

مدرسة سحر؟ بالضبط كما خطر في بالك الآن.. هاري بوتر! ضحكت ضحكة مريرة، وتناولت هاتفي المحمول لأبحث أكثر عن معلومات عن هذا المكان أو حقيقة وجوده.

يقال أنها في المغرب ويقال أنها في العراق.. يقال أن هناك غربيين ارتاداها في السبعينات لكنهما اختفيا بعد فترة حققا فيها شهرة وثروة.

كل ما وجدت هو أقاويل لا أكثر..

في النهاية أصاب الطنين أذني، فاستسلمت للنوم جالسًا، ولم يوقظني شيء سوى أذان الفجر والإذن بالإفراج، فخرجت من محبسي وارتميت على الفراش حتى انتصف النهار.

****

الفصل الثالث

لعلكم لم تنسوا أنني أحكي لكم عام ٢٠٢١ ما حدث لي منذ طفولتي، وما سأحكيه الآن لم أعرفه وقت حدوثه بالطبع، لكنني عرفته بعد أعوام من اكتسابي مهارات شيطانية لم أسعَ لها إلا لتدمير عالم الظلمات الخبيث.

لكن أحيانًا ما كنت أسأل نفسي: هل كنت سأغير شيئًا مما فعلته لو كنت

عرفت الغيب والمستقبل؟ أم أن الخيارات التي نتوهمها ما هي إلا طرق مُتعددة تؤدي إلى نفس المصير؟

***

عالم الظلمات.

في نفس توقيت عالم النور تقريبًا.

يتحرر ذو الرمح حارس العهد من تجسده المادي، ويركع مُستندًا إلى حربته أمام سيده العظيم مامون.

«هل قتلت الرجل من نسل لاشين؟»

«فشلت، ثم نجحت وأصابته ضربتي في مقتل.»

«هل مات؟»

«لم يمُت.»

«السبب؟»

«لا أعرف.»

«رأيته حيًا تجري دماء في عروقه؟»

«رأيته.»

«كيف نجا مرتين؟»

«لا أعرف.»

«أرسل له من بني جلدته من يقتله.. ولنرى..»

لم يتوقع ذو الرمح أن يمر تقريره عن الرجل من نسل لاشين بسلام. هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها رجلا لا يموت بضربته. توقع أن يثور مامون.. أن ينفيه.. أن يُبدد وجوده. لكن سيده بدا شاردًا يُفكر ولم تَخف عن ذي الرمح سمات القلق والاهتمام الممزوج بالفضول على هيئة مامون

العظيم.

تراجع ذو الرمح خارجًا من مجلس سيده، عائدًا إلى أرض النور. كَمَن في ركن من أركان قرية في ريف طنطا يمتص طاقة الشمس والحياة النابضة في البشر من حوله.

كل من مَر بهذه البقعة وقتها شعر ببرودة مفاجئة وقشعريرة، لكن أحدًا لم يخطر بباله قَط مُسببها. ومن مكانه بدأ في تنفيذ الأوامر.

***

آمنة شابة من نجع حمادي، زوجوها من رجل يكبرها بنيف وأربعين عامًا. أهانها وضربها وعايرها أمام الجميع بعقمها، ولم تقدر هي على التصريح بسبب هذا العقم. الرجل لم يقربها منذ زواجهما. وإن كان قد تسبب لها في صدمة عُظمى حين اغتال عذريتها بمساعدة «داية» منعدمة الضمير.

هكذا أعلن تمام رجولته، وكبتت هي الحقيقة في صدرها، فلا يصح أن تفضح زوجها مهما فعل.

كان عليها أن تزور المشايخ والدجالين بعد أن رفض زوجها أن تذهب لطبيب يكشف خدعته.

ساءت الحالة النفسية لآمنة وهزلت وانقطعت عن الطعام. كانت ترى شبابها ينفلت من بين يديها، وجسدها تذبله الإهانات والشعور بالنقص. وضربات الدجالين الذين حاولوا إخراج الجن والشياطين من جسدها، ولم يعرفوا أن الإنسان هو أسوأ الشياطين.

أخيرًا، أرسلوها إلى دجال آتٍ من الأقصر. يقولون أن له طريقة مختلفة لإخراج الجن ومعالجة المس.

يقولون أن «سره باتع»..

يقولون..

كانت تبكي وهم يُجلسونها على كرسي خشبي ويغطون جسدها بالكامل

بقماش أسود. يحملها خالها وأخوها إلى حيث الدجال ذي الأسرار.

تستلقي على الأشواك في الأرض. تصرخ والدجال يدحرجها فوقه بقدمه. يُخرج الرجل كتابًا ويقطع صفحة منه ثم يحرقها. رائحة خبيثة تتصاعد منها وهو يتمايل بإيقاع معين.

ما أرعبها هو الصمت المطبق. لماذا لا يقرأ القرآن؟ لماذا لا يصرخ آمرًا الجن بالخروج؟ لماذا لا يدقون الطبول حولها ويذبحون ديكًا يلطخونها بدمائه؟

ماذا يحدث؟

دس الرجل إصبعه في الرماد الساخن ثم رسم شيئًا على جبينها. شعرت ببرودة جمدتها تمامًا وراحت ترتجف بشدة.

ثم اخترق جبينها ألم لم تشعر به طيلة حياتها.. ورأته..

لا تعرف ماذا رأت، لكنها ظنته ملاك الموت. تساءلت ماذا فعلت في حياتها من ذنوب كي تكون لحظة موتها بهذه البشاعة؟ ما رأته كان أكثر هولا من الألم والتعذيب.

ثم فجأة اختفى الألم وشعرت كأنها فقدت ذاتها. لم تكن قادرة على استرجاع ذكرياتها أو محادثة نفسها. كل شيء مُحي من عقلها، وحل محله وعي آخر. ذكريات أخرى.. عذاب آخر.

وأدركت أن من بداخلها قادر على تحريك جسدها بينما تعجز هي عن ذلك تمامًا. صرخت فلم يخرج صوتها، بل تحرك لسانها وانطلق الهواء عبر حبليها الصوتيين لتعلن أنها بخير.

تقف على قدميها بلا إرادة منها. عينها تريان زوجها القبيح يبتسم ويداعب شاربه، وهو يدس في يد الدجال المال، لكن الأخير يرفضه، ويجمع حاجياته ويركب سيارته ويرحل دون كلمة أخرى.

الآخر بداخلها يتظاهر أنه هي. يبتسم.. يتحدث.. يُخطط لشيء.

في حمام بيتها فتحت صنبور الماء، ورأت كفها يبتل ثم يمسح الدماء من جروح جسدها ويفردها على كامل أوصالها في استمتاع غريب. ماذا يحدث لها؟

في الليل تمدد جسدها على الفراش، لكنها لم تنم هي أو من يسكنها. بعد أن ساد الهدوء قامت واتجهت بخطوات متصلبة نحو المطبخ وأخذت سكينًا كبيرًا، ثم سارت نحو باب الشقة وفتحته.

تتساءل آمنة إلى أي مكان يذهب جسدها؟ وكيف ستخرج بملابس النوم حافية؟ حاولت السيطرة على عضلاتها لكنها فشلت تمامًا.

نزلت الدرجات سريعًا حتى وصلت الشارع الخالي، ثم انطلقت تجري بسرعة غير عادية متوجهة – عدوًا- من نجع حمادي إلى ريف طنطا.

***

تصل آمنة إلى القرية صباحًا. لحم قدميها قد اهترأ تمامًا كاشفًا عن الأوتار والعظام. مفصل فخذها مخلوع جراء تعثرها في حفرة في الطريق. كانت جثة ممزقة الملابس تقبض على سكين كبيرة وتندس وسط المزروعات في انتظار الإشارة.

الشيطان بداخلها يتعجب من التغيير المفاجئ في الخطط، فهو والعبيد من أمثاله يُرسلون إلى عالم البشر كأضحيات ليفتحوا بوابة الظلام لمن هم أعلى. لكنه فوجئ أنهم قد أرسلوه لقتل رجل.

غريب هذا، لكن ماذا في وسعه سوى الطاعة؟ لقد غادر عالم الظلمات ولن يعود إليه. يجب أن ينسى أحلامه ورفاقه من العبيد، يجب أن ينسى طموحاتهم في الإفلات من العبودية والترقي لمنازل السادة.

شعر بغل وحقد على العبيد الذين يعملون مع ديهيا وأبنائها. طالما لم يُمنح الوقت للانضمام إليهم فليلعنهم ويلعنها ويلعن الشياطين أجمعين.

ثم شعر باقتراب الإنسي المراد، فحرك جسد آمنة -التي رحلت روحها إلى

بارئها منذ سقطت في الحفرة- واخترق طرقات القرية الترابية بسرعة. يصرخ المارة من مظهر الجثة التي تجري. يفسحون له الطريق ويحتمون بأبواب المسجد الخشبية المنقوشة بأسم يكره أن تقع عيناه عليه.

لكن جسد آمنة توقف مكانه حين أبصر هدفه.

شاب يخرج من سيارته الفيات أمام صيدلية. ما الذي يسكن جسد بن آدم هذا؟ ممسوس آخر؟ لكنه واعٍ..

كم شيطان يسكنه وكيف؟! الشياطين بداخله ساكنة، خافتة لن يشعر بها سوى العبيد من مرتبتها.

أهذا هو سبب تصفيته؟

للحظات فكر في أن يفر ويذهب إلى ديهيا. هو لا يعرف مكانها تحديدًا لكنها ستجده إن دخل نطاق الرصد. سيبلغها بما رأى وسيطلب حمايتها..

لكن..

اللعين ذو الحربة هنا، وهو قادر على أن يجده في أي مكان على وجه الأرض وقادر على حبسه في هذا الجسد حتى يتفتت فيفنى.

لا مفر من الهلاك..

خرج الشاب من الصيدلية حاملًا كيسًا صغيرًا. قبل أن يركب سيارته مرة أخرى انقض عليه جسد آمنة، لكنه أمسك بيدها التي تحمل السكين في اللحظة التي غاص فيها النصل في عينه اليمنى.

الناس تشاهد من خلف النوافذ وبوابات المنازل.

يحاول جسد آمنة التملص من قبضة الشاب، لكنه أخيرًا تهاوى على الأرض..

هرعت آمنة تعدو بحذاء صف المباني القصيرة، والنسوة تصرخ. اقترب أربعة رجال ببطء كي يروا الجسد الشاب الممدد على الأرض. وقبل أن

يقتربوا أكثر، قام الشاب بسرعة مغمض العينين، وفي ثلاث قفزات قطع المسافة بينه وبين آمنة.

انقض عليها وطوق كتفيها من الخلف فسقطت على وجهها، قلب جسدها لتواجهه، ثم انتزع السكين من عينه وذبحها.

انفجرت الدماء في دفقات تغرق وجه الشاب وصدره. ظل جاثمًا فوقها حتى فرغت منها الحياة، ثم جلس على الأرض دقائق.

ساد الصمت التام وأهالي القرية يحدقون إلى ما يحدث. الشاب يفتح عينيه وينظر في ذهول إلى جثة آمنة والدماء التي تغرقه. ينظر نحو الجمع الواقف، فيتفرقون سريعًا مذعورين، لا يبقى من يراقب ما حدث إلا ذو الرمح.

****

الفصل الرابع

عُدت من القاهرة في ظهر اليوم التالي بعد أن ذهبت إلى الجامعة للتقديم على إجازة. لن أكرر ذكر ما يحدث للناس حين يشعرون بوجودي. مع الوقت صار هذا التأثير مؤلمًا يضغط على ذكريات نبذ أقراني لي في طفولتي دون ذنب مني.

للحظة فكرت: ماذا لو تركت الشياطين بداخلي تفنى فأعود بشريًا بالكامل؟ لو قُتلت بعدها فربما أنعم بنظرة مُشفقة من آخر وجوه تراها عيناي.

الشياطين بداخلي يطالبون بالدماء. والآدمي بداخلي يطالب بالثأر. كلاهما وجهان لنفس العملة الصدئة الملعونة.

كفي تؤلمني، ويبدو أن شياطيني قد أهلكت أغلب طاقتها لشفائي من طعنة ذي الرمح، كما أن الحروق البسيطة ليست من أولوياتهم على أيه

حال. توقفت عند الصيدلية في القرية قرب منزل أبي لأشتري ضمادات ودهانًا للحرق.

التجاهل والابتعاد المعتاد عني.. ثم سمعت شياطيني تهمس لي:

«آدم.. ثمة ممسوس في الجوار..»

تلفت حولي فلم أر أحدًا. اشتريت ما أردت ثم عدت لسيارتي، فصاحت الشياطين بداخلي:

«آدم.. المرأة الممسوسة خلفك معها سكين!»

ما أن التفت ورائي حتى رأيتها، مهلهلة الملابس دامية الجسد، تقفز وتجتاز ظهر السيارة ثم تُسدد طعنتها إلى عيني مباشرة.

أغمضت عيني وصرخت ممسكًا بها، غير واعٍ لما أفعل. وعيي ينسحب مني تدريجيًا، وقبل أن أفقد الوعي شعرت بجسدي يتحرك كأنما يحملني أحدهم.

غبت عن الدنيا فترة لم أدر كم كانت، ثم فتحت عيني لأجدني غارقًا في الدماء، جالس جوار جثة شابة بدت عظام قدميها بعد أن اهترأ عنها اللحم.

نظرت حولي، فوجدت الناس تعدو مبتعدة، كل يختبئ في مدخل دار أو خلف واجهة عرض متجر، أصبح الطريق خاليًا حتى من الكلاب الضالة.

ماذا فعلت؟!

«آدم.. لقد حصلنا على الدماء وأنقذناك..»

صرخت:

إلهي! ماذا فعلتم؟!

«ألا يقول من تعبد أن العين بالعين؟ هي من بدأت بالهجوم. كانت ممسوسة ومُرسله لقتلك خصيصًا يا آدم. نحن أنقذناك وننقذك المرة تلو

الأخرى وأنت لا تحمدنا.»

الأبالسة! الأبالسة!

نفذت مني الكلمات ورحت أرتجف لا أعرف ماذا علي أن أفعل. أخرجت هاتفي المحمول من جيبي وأنا أفكر في الاتصال بالشرطة. لكن ماذا سأقول لهم؟

ألقيت الهاتف داخل السيارة في عصبية وتحسست وجهي لأجد أن عيني سليمة. أين هي الإصابة التي سأبرر بها للشرطة مهاجمتي لها؟

اللعنة.. اللعنة اللعنة!

حملت المرأة خفيفة الوزن ووضعتها في سيارتي، وجلست في مقعد السائق لدقائق وقد نسيت كيف أقود السيارة، بل ونسيت كيف أتنفس.

«آدم.. ادفنها في أرض أبيك وانس كل شيء. تذكّر أن ذا الرمح قريب، ومع المغيب ربما يعود..»

قدت السيارة صامتًا، يغلي الغضب في عروقي. أوقفت السيارة بالقرب من حقل البرتقال، تلفت حولي. لم يكن ثمة أحد في أي مكان بالقرب مني كالعادة.

حملتها وسرت على الأرض الرطبة بفعل الأمطار الخفيفة التي بدأت في الهطول. صوت تهشم الأغصان تحت قدماي. المكان مظلم رغم أننا وقت العصر. أسمع همسات الأبالسة في عالمهم. يحيطون قبور أبي وأخي وأمي لسبب لا أعلمه.

سألت شياطيني:

ما سر بقاء هذا الشياطين هنا؟ هل هم في عالمنا؟

«الشياطين العبيد تحرس قبور السحرة. وهم في عالمنا لا عالمكم، لكنهم قريبين من الحاجب المضروب بين عالمينا لذا تسمعهم.»

ولماذا يحرسون هذه القبور؟

«لا يخبرنا أحد ما وراء الأوامر نحن عبيد لملاعين أكبر وأكثر سطوة منا.»

أضع المرأة جوار قبور عائلتي وأحدق إليها. كانت عشرينية، متوسطة الجمال. ما لفت نظري هو اهتراء لحم قدميها إلى الحد الذي كشف عظامها.

ما الذي حدث لها؟

«هي ممسوسة. يبدو أنها سارت حافية مسافات طويلة وجسدها تحت سطوة الشيطان الذي تلبسه. هو لن يعبأ بجسدها ويعتبره مجرد وعاء يحمله في عالمكم حتى ينفذ ما أرسل لأجله.»

ولأي غرض أرسل؟ لقتلي؟

«أجل.»

من أرسله؟

«لا نعرف. أنت الأول يا آدم، لم نرَ مثلك. وأنت الأخير؛ فلن يسمحوا لأحد أن يكرر ما فعلت.»

آدم لاشين.. الأول والأخير.. لكن ما هذا الذي فعلت؟ بالمقاييس العلمية؛ فما حدث لي لم يكن تجربة يعتد بها، بل مجرد مصادفة يستحيل أن أبني عليها نظرية.

لا أستطيع إعادة التجربة، فقد صار كتابي بلا فائدة. ستظل أسئلة مثل: هل يستطيع جسدي تحمل المزيد من الشياطين؟ هل أستطيع استدراج شيطان أكبر؟ هل ستزيد قوة جسدي بدمج شياطين أخرى مع خلاياه؟ هل سأتحول إلى شيطان؟

بدأت في حفر لحد للمرأة التي لم أستطع رفع عيني عن وجهها. يجب أن

أذكره جيدًا، فهذا أول وجه يفقد حياته بسببي..

«بل بسببهم يا آدم..»

هذا أول وآخر وجه أقتل صاحبه. هذا عهد بيني وبين نفسي..

«أنت لا تفهم أبعاد ما أقحمت نفسك فيه يا آدم..»

حملتها مرة أخرى ووضعتها برفق في القبر، وهمست في أذنها:

آسف.. حقًا آسف، وأعدك أن آثار لك ممن ورطك في كل هذا.

«هل تعرف يا آدم أن الإنسان أشد كفرًا من الشياطين؟ لا تنس أن تنتقم ممن أسلمها للشياطين، ومن الدجال الذي أدخلهم إلى جسدها، ومن أفكار الآلاف ممن يؤمنون بالشيطان سرًا وبالإله علنًا..»

أهلت عليها التراب، ثم رمقت قبر أبي بنظرة طويلة وأنا أفكر لماذا يحمي الشياطين قبور السحرة؟ ومم يحمونها؟

عدت إلى البيت فاستحممت وصليت العصر وأطلت في الركعات متألمًا، مستمتعًا بأنين الأبالسة بداخلي. ثم عدت إلى السيارة فأخذت الحاسوب المحمول، ولم أجد في نفسي طاقة لحمل الحقيبة كلها. لاحقًا سأفعل كل هذا..

عدت إلى حجرتي وفتحت أحد برامج الصوت.

«ماذا ستفعل الآن يا آدم؟ هل نسيت أن ذا الرمح قد يأتي إليك خلال ساعات؟»

ماذا تريدون؟ بعد الغروب سأجلس في القفص كما فعلت في القاهرة.

«سنحميك، وستزودنا بالدماء. أتفقنا؟»

لا زال وجه المرأة التي قتلتها أمام عيني. ما زالت الأبالسة تجري في عروقي وتداعب أحلامي بالثأر، وتبرر القتل والدماء.

الخيار واضح وصعب: هل أظل متحصنًا بقوتهم وأتابع رحلتي حتى أثأر لأهلي ولكل الأبرياء؟ ..أم..

«هل تثأر لهم حقًا يا آدم أم يروقك أن تكون بطلًا؟ نبيًا مُخلِّصًا لقوم لا يؤمنون؟ مسيخًا؟ مسيخًا لا يموت؟»

.. أم أتخلص منهم وأموت كبشري بذل آخر قطرات دمه محاولا أن يحافظ على آدميته؟

وضعت التسجيلات الصوتية على البرنامج، وقصصت الأجزاء التي ضايقتهم حين استمعت إليها من قبل، ثم عرضتها بأعلى صوت كقطعة صوتية واحدة.

أصوات طبول، ترانيم، بوق..

لا أعرف ماذا دفعني لفعل ذلك لكنني أردت أن أعذبهم وأعذب نفسي. لم تُمحَ عني خطيئتي مهما فعلت. أنا قاتل.. أنا مسخ..

صرخوا.. وصرخت.

ألم لا يحتمل أطاح بجسدي من على المقعد. تلويت على الأرض كأن هناك من ينتزع شجرة جافة من داخل جسدي. الأصوات تهز خلاياي فأشعر بحرارة كأني أشوى.

لكنهم يصرخون ويطلبون الرحمة.

صرخت:

اخرجوا من جسدي!

صرخوا:

«لا يمكن أن نخرج.. أنت لست ممسوسًا أيها اللعين! كفى»

اخرجوا!

«لست ممسوسًا أيها الجاهل..كفى!»

كيف أكون ممسوسًا وأنا واعٍ؟ ما أنا إذًا؟ ما أنا؟

لم أكن قادرًا على الوقوف كي أصل إلى جهاز الحاسوب المحمول فوق المكتب. ظل الصوت يهدر وكلما انتهى أعاد البرنامج تشغيله. سألتهم محاولًا استغلال عذابهم طالما لن يخرجوا:

أين أجد كتاب عهدٍ آخر؟

«لا نعرف حقًا، لا نعرف!»

أين البوابة التي أتيتم من أجل فتحها؟

«لا نعرف اسم المكان، يمكننا فقط الذهاب إليه.. في الغرب، عند أرض ديهيا..»

ظلوا يصرخون ويرجونني أن أغلق الصوت. أنا كذلك كنت متألمًا لكنني كنت أريد أن أتطهر.. أن أشعر بكل شيء مرت به المرأة المجهولة قبل أن أقتلها.

هل عانت؟ هل كانت مدركة أن الطريق يأكل لحم قدميها؟ هل تألمت؟ هل ظلت حية حتى قتلتها؟

تألم يا آدم حتى لا تنسى أنك بشري.. تألم.

لكن لماذا أتألم ولماذا يتألمون؟ رغم هذا العذاب لا أعرف ما السر في تلك الأصوات والإيقاعات.

هل طقوس إخراج الشياطين حقيقية؟ كيف تؤثر في الشياطين على اختلاف خلفياتها العقائدية؟

أمسكت بالمقعد وأنا على الأرض ودفعت به جهاز الحاسوب كي يسقط، وأخيرًا أستطيع أن أضغط على الزر فأغلقه تمامًا. ظللت أرتجف وشياطيني تئن.

لكن الجزء العلمي في عقلي ظل يعمل، ووضع علامة النجاح أمام تلك التجربة. تلك الأصوات تُعذب الشياطين بشكل ما ولا يهم السبب الآن.

لكن كيف أستغلها دون أن تؤذيني؟ ماذا لو أغلقت أذني؟

لم أستطع الحركة لساعات. ظللت ممددًا على الأرض تدور في عقلي أفكر عشوائية أقرب للهلاوس؛ أمي وهي تغسل الأرضيات بالماء والملح.. أبي الذي كان يتحاشى لمسي أو النظر إلى عيني.. أنيس الذي يظل يدفعني للابتعاد عن أسرتي والتركيز في العلم والقراءة..

والعهد.. العهد وذو الرمح الذي يصر على قتلي.. مامون الغامض الذي أغوى أبي..

كل شيء يبدأ عند أبي وكل شيء ينتهي عنده.

لماذا تحمي الشياطين قبور السحرة؟

قمت مستندًا إلى الجدران محاولًا الخروج إلى حقل البرتقال مرة أخرى حيث قبور عائلتي، لكنني هويت أرضًا.

تُراني أهلكت قوتي حين ضغط على شياطيني؟ هل أنا مجرد جثة تحركها الأبالسة المتلبسة بها كتلك المرأة الممسوسة؟

«آدم.. إلى أين تريد الذهاب؟»

لم أرد.. ومع انجلاء عقلي لاحظت شيئًا كان واضحًا من البداية لكنني أغفلته في خضم محاولات هربي. الشياطين لا تعرف فيمَ أفكر إلا إذا أخبرتها، وأنا لا أعرف ما تخبئه الشياطين في نفسها إلا إذا أخبروني.

حقيقة قيمة ربما أحتاجها. هم لم يستولوا على كياني كاملًا ولم يندمجوا هم بشكل نهائي في وعيي. حالة من التوازن يسعون للحفاظ عليها مهما تكلف الأمر.

جلست على الأريكة جوار الباب عاجزًا عن الخروج لإحضار القفص الذي سأبيت فيه. لو تركت نفسي لحمايتهم ربما تفرغ طاقتهم مرة أخرى في

شفائي ويرغمونني بشكل أو بآخر على البحث عن دماء تجدد قوتهم.

رغمًا عني نمت، وشعرت كأن روحي تنسحب مني إلى عالم بعيد بارد هادئ.

صحراء.. ثلاثة خنازير مسلسلة في زنزانة.

عينان زرقاوان تحدقان في، تتفحصانني. وشم على الخدين والذقن، وحُليّ ذهبية تتدلى من ضفائر مخضبة بالحناء الحمراء.

أسير في الصحراء والعينان تراقباني، وتدفعانني للسير في اتجاه معين.

أنظر للسماء فإذا بالنجوم علامات ذات زوايا حادة تشبه إلى حد ما علامات الأبراج الشمسية، لكنها ليست هي.

سرت في منامي حتى وصلتُ إلى نقطة معينة تكبلت بعدها قدماي إلى الأرض ورأيت دخانًا أسود يتصاعد من بين حبات الرمال، ومن خلفه رأيته.. الشيخ طاهر؛ شيخ مسجد السيد البدوي.

قال لي بصوت جهوري:

آدم من تراب، وهم من نار وصديد وكراهية. آدم هو المصطفى خُلق من طين لازب ليسكن جنة عدن. قال تعالى: إني أعلم ما لا تعلمون.

سألته في حيرة:

الشيخ طاهر؟ ماذا تعني؟ وأين أنا؟

واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر.

أعرف كل هذا.. لكنني في ورطة يا سيدي، ساعدني..

اقترب من الحجاب الأسود المضروب بيننا وقال:

هم من صديد ونار وكراهية يا بني. لا تتبعهم، ولا تتبعها. استسلم لأمر

الله وتوكّل عليه..

مد يده مُخترقًا الدخان، وأمسك بجبيني وقبض عليه. ارتجفت وصرخت الشياطين بداخلي. تغير وجه الرجل وسحب كفّه بعيدًا عني، ثم تراجع إلى الظلام وهو ينظر إليّ في حيرة.

شيخ طاهر.. ماذا يحدث لي؟ ما كان لك أن تكون يا آدم لاشين.. ما كان لك أن تكون..

تسارعت خطواته إذ يبتعد مهرولا وتطايرت عباءته الخضراء من خلفه حتى ابتلعته حلكة الليل. لم أستطع أن أتحرك من مكاني. تهاويت على رُكبتي أبكي كما لم أبكِ من قبل.

العينان تحدقان فيّ.. أسمع صوتًا ناعمًا يهمس في أذني، صوت امرأة يقول: تعالَ يا بني، فحين سيلفظك الداني والقاصي، والسيد والعبد، والكريم والوضيع، سأقبلك أنا يا ابن ديهيا..

نظرت إلى السماء فلم أجدها، بدلًا منها رأيته، ذا الرمح. ضخمًا إلى الحد الذي يملأ ما أرى من حدود الصحراء والأفق. يظللني ببطنه، وينظر إليّ بعينين زرقاوين بشريتين تحيطهما التجاعيد.

تعالَ يا ابن ديهيا إلى أمك..فبك تنتصر. شممت رائحة دخان شديدة فسعلت حتى كدت أختنق..

«آدم، استيقظ!»

الدخان يملأ رئتي ويغطي على عيني ذو الرمح. حين يلفظك القريب والغريب، سأقبلك أنا يا ابن ديهيا..

«آدم.. البيت يحترق!»

***

فتحت عيني وشهقت..

البيت يحترق!

النوافذ الزجاجية مكسورة وعلى الأرض بقايا زجاجات مولتوف. النيران تمسك في الأثاث والستائر وتنتشر في كل مكان.

قمت فزعًا قاصدًا حجرتي كي اجمع كتبي وأحضر جهاز الحاسوب، الدخان يفعم المنزل، لكنني أقاوم وأقترب من باب الحجرة.

أتت النيران على كل شيء، كل شيء.

هرعت نحو باب المنزل فرأيت الرجال في ظلام الليل يحملون الكشافات وزجاجات المولتوف ويصيحون:

الله أكبر!

رآني واحد منهم، فقذفني بزجاجة مولتوف لم تُصبني، لكنها انكسرت على الباب الخشبي من خلفي.

النيرات تحيطني. الحقول مشتعلة لا مفر في أي اتجاه سوى إلى حيث يتجمع رجال قريتي ينوون قتلي.

عدوت نحو سيارتي، وشعرت بألم في صدري قذفني إلى الأمام..

«آدم، هم يطلقون الرصاص! اهرب..»

فتحت باب السيارة واندسست بداخلها، بحثت عن هاتفي المحمول كي أتصل بالنجدة، لكن سرعان ما رأيت رجلين يحملان بندقيتين يقتربان مني. هتف أحدهما وقد عرفت انه واحد من مستأجري ارضنا:

أنت مثل أبيك والعن! أنت شيطان رجيم.. لابد أن نطهر المكان من أمثالكم. كفانا خوفًا.

أطلق الرجل النار علي، تكومت على نفسي وزحفت خارجًا من الباب الآخر.

كل شيء يحترق، إلا موضع بعينه بين أشجار البرتقال. أظنكم عرفتموه.

عدوت نحوه والنار تحيط بي وتمسك في ثيابي. أصرخ وأنا أخلع الشترة وأعدو. الرجال خلفي يصوبون نحوي أسلحتهم. لكن النيران أوقفتهم فلم يتبعوني أكثر.

ارتميت على الأرض أتدحرج كي تنطفي ثيابي، بينما يلفظ جسدي الرصاص وتلتئم جروحي أمام عيني.

«آدم.. اهرب ولا تهتم بالنيران.. اهرب!»

عدوت عبر الأشجار مارًا بقبور عائلتي. الشياطين حولها تهمهم وتتساءل:

«كيف لا يحترق؟»

«كيف لا يموت؟»

هل كنت خائفًا؟ حزينًا؟ متفاجئًا؟ أبدًا.

كنت ببساطة أشعر أنني أستحق. كلمات الشيخ طاهر في حلمي تتردد في عقلي. ما كان لي أن أكون.. ما كان لي أن أكون..

أنا مسخ قاتل.. شيطان.

توقفت وسط النيران، شعرت مرة أخرى بألسنتها تخترق جلدي. أليست الجحيم هي مأوى الشياطين؟

«اهرب يا آدم! ماذا تفعل؟»

هذا هو مكاني.. مكاننا أيها الأبالسة.

جلدي يذوب، أتهاوى.. أكاد أموت. أترك نفسي للنيران..

«أيها اللعين المختل! اترك لنا هذا الجسد إن كنت لا تريده!»

فروع الأشجار اليابسة حولي تخدش جسدي المحترق وتدميه. أحاول أن أصرخ بلا جدوى. الصور تتلاحق أمام عينيّ فأترك جسدي يسقط أرضًا.

ولم أطلب من الله وقتها شيئًا سوى أن أموت..

***

صوتهم وعواؤهم أعادني إلى عالم الأحياء.

لا أتكلم عن الشياطين بداخلي، بل أتحدث عن حراس قبور السحرة.

فتحت عيني لأرى النيران لا زالت تأكل ما حولي، ورأيته وسط الظلام، أكثر حلكة منها..

ذو الرمح.

لأول مرة أسعد برؤيته، لعله ينهي عذابي. لكنه ظل واقفًا عند قبر أبي ينظر تجاهي، ثم وكأنما كان ينتظر أن أراه، ضرب أرض القبر بجناحه، ففاضت بالتراب كأنها عين ماء متفجرة. ثم راح يضرب برمحه ويطعن يمنة ويسرة فأسمع صرخات الشياطين الحارسة مجددًا دون أن أراها.

هل يقتلهم؟ هل تقتل الحربة الشياطين؟

لكن وسط ضرباته كان يحدق إلي، وظل على هذا الحال دقائق، لا أجرؤ على الاقتراب منه ولا أفهم ماذا يريد.

انحنى على الأرض وزحف على مرفقيه بطريقة الخفافيش تلك. وشعرت بشياطيني تدفع جسدي المستلقي على الأرض إلى الخلف.

توقف على بعد مترين مني وحدق إلى وجهي، لمعت -فيما أظنه وجهه- نقطتان بلون أزرق تشبهان حدقتي إنسان، ثم ذاب في الظلام.

ماذا يحدث؟

أنصت إلى العالم من حولي، فلم أسمع سوى صوت احتراق الأشجار. قمت شبه عارٍ وقد احترقت ملابسي والتصق بعضها بجلدي. سرت نحو قبر أبي أجاهد كي لا أتعثر أو أسقط أرضًا.

أشعر بترقب الأبالسة بداخلي وهم يرممون جسدي تدريجيًا.

نظرت إلى القبر والفتحة التي ظهرت إثر ضربة ذو الحربة حارس العهد. ثمة جوال من الخيش البني جوار كفن أبيض مترب.

ركعت أنبش حتى أخرجت الجوال ومزقته في نفاد صبر. على ضوء النار وجدت عصا أبي التي أمسكها لأول مرة. كانت عصا قصيرة تتوج قمتها رأس أفعى، وتحتها رموز منحوتة تبدو كلغة ما وليس نقوشًا للزينة، وبين النقش والآخر مسافات غير متساوية.

تشبه ما رأيت في سماء حلمي..

ابن ديهيا؟ هكذا قال لي الصوت..

أرض ديهيا؟ هكذا أخبرتني شياطيني..

قلبت محتويات الجوال على الأرض، فتدحرجت أقراص فضية بلا أي نقوش، وخاتم أبي، وشال، وكتابان للطلاسم وقطع من أحجار ملونة ربما كانت كريمة، ومسبحة من.. أسنان! إلهي!

وضعت ما وجدت في الجوال مرة أخرى وأنا أتساءل، لم أرادني ذو الرمح أن أنبش القبر وأجد هذه الأشياء؟

لماذا لم يقتلني؟

جلست جوار قبر أنيس أقاوم رغبة نبش قبره وضم جسده بين ذراعي. همست وأنا ممد جواره:

أنيس.. لماذا لا أموت فألقاك؟ هل تشعر بي؟ هل تفهم كيف أشعر وعدوي اللدود يعيش بداخلي؟ القاتل يحيا وينمو داخل القتيل. كم كنت غبيًا حين تصورت أنني قادر على مواجهة كل هذا. لكنك كنت معي وأخذوك مني..

ظللت في موضعي، متكورًا كجنين حتى مضت ساعات صارت خلالها

الأشجار رمادًا. لم أختنق أو أحترق، فأنا كما أخبرتكم ملعونٌ بلعنة الحياة.

****

الفصل الخامس

لم تحترق سيارتي لحسن الحظ، لكنهم حطموا زجاجها ومزقوا إطاراتها.

والمنزل صار خرابًا.

فتحت السيارة بصعوبة وأخذت حقيبتي التي لم أعدها إلى المنزل. كان بها ملابس رياضية وبقايا طعام وأوراق تخص الجامعة. وتحت المقعد الأمامي وجدت هاتفي المحمول. انتزعت بطانة سقف السيارة وأخرجت ما خبأت فيها من مال ووضعته في الحقيبة.

أما هويتي وحاسوبي والملابس التي جئت بها فقد احترقت بالداخل.

انتهت تلك الحقبة من حياتي إلى الأبد.

ارتديت الملابس وحملت الحقيبة على كتفي بعد أن وضعت فيها كل ما وجدت من أوراق حكومية في السيارة مع متعلقات أبي، ثم سرت نحو الطريق المؤدي إلى القرية.

«آدم.. لقد أرادوا قتلك..»

عيونهم الشائهة ترمقني في ذعر. أحدق في وجوههم عمدًا. أجل، أنا لم أمت. أنا ساحر رجيم.

«آدم.. أنت تعرفهم بالاسم. هل ستتركهم بلا عقاب؟»

يختبئون مني. يبسملون ويكبّرون، لكنني لا أتأثر.

«إلى أين أنت ذاهب يا آدم؟ اقتلهم وخذ أموالهم.. هم يستحقون..»

«آدم.. ألا تشتهي الدماء؟»

كل شيء يحترق، إلا موضع بعينه بين أشجار البرتقال. أظنكم عرفتموه.

عدوت نحوه والنار تحيط بي وتمسك في ثيابي. أصرخ وأنا أخلع السترة وأعدو. الرجال خلفي يصوبون نحوي أسلحتهم، لكن النيران أوقفتهم فلم يتبعوني أكثر.

ارتميت على الأرض أتدحرج كي تنطفي ثيابي، بينما يلفظ جسدي الرصاص وتلتئم جروحي أمام عيني.

«آدم.. اهرب ولا تهتم بالنيران.. اهرب!»

عدوت عبر الأشجار مارًا بقبور عائلتي. الشياطين حولها تهمهم وتتساءل:

«كيف لا يحترق؟»

«كيف لا يموت؟»

هل كنت خائفًا؟ حزينًا؟ متفاجئًا؟ أبدًا.

كنت ببساطة أشعر أنني أستحق. كلمات الشيخ طاهر في حلمي تتردد في عقلي. ما كان لي أن أكون.. ما كان لي أن أكون..

أنا مسخ قاتل.. شيطان.

توقفت وسط النيران، شعرت مرة أخرى بألسنتها تخترق جلدي. أليست الجحيم هي مأوى الشياطين؟

«اهرب يا آدم! ماذا تفعل؟»

هذا هو مكاني.. مكاننا أيها الأبالسة.

جلدي يذوب، أتهاوى.. أكاد أموت. أترك نفسي للنيران..

«أيها اللعين المختل! اترك لنا هذا الجسد إن كنت لا تريده!»

فروع الأشجار اليابسة حولي تخدش جسدي المحترق وتدميه. أحاول أن أصرخ بلا جدوى. الصور تتلاحق أمام عينيّ فأترك جسدي يسقط أرضًا.

كتبت في محرك البحث «ديهيا»، ووجدتها ملقبة بـ«الكاهنة».

«ديهيا بنت تابنة بن نيفان بن باورا» والمولودة في عام ٨ ميلاديًا، وقد عاشت حتى عام ٧١٢.. عاشت ١٢٧ عامًا؟

هي حاكمة بربرية حكمت مناطق من شمال إفريقيا لمدة خمسة وثلاثين عامًا، وقيل أنها يهودية.

قادت ديهيا الجيوش ضد العرب والرومان والبيزنطيين لاستعادة مملكتها، وتعتبر رمزًا من رموز الذكاء والوطنية.

حتى هنا، فهي حاكمة لا غبار عليها. ما علاقتها بما يحدث لي؟

أقرأ ما قاله عنها ابن خلدون من كونها كانت وثنية تعبد صنمًا من خشب وتؤدي له طقوسًا قبل كل معركة فأطلقوا عليها لقب الكاهنة أو العرّافة. وأشاعوا أن لها قدرة على قراءة المستقبل ومعرفة الغيب.

مرة أخرى، ما علاقتها بي؟ سألت شياطيني:

من هي ديهيا؟

«آدم.. نحن مُتعبون.. أنقذنا..»

أجيبوني أولا..

«........»

أنتم ذكرتم أرض ديهيا من قبل، أين تكون؟ من هي ديهيا؟

«أنقذنا أولا..»

أجيبوا سؤالي أولا!

تبًا لهم..

أخذت أقرأ أكثر وأبحث عن صورًا لها، وجدت تمثالًا بديعًا منصوبًا في مدينة بغاي بالجزائر يمثلها تقف شامخة وترفع ذراعها اليمنى إلى أعلى.

في صورة أخرى رسم حديث لها، وعليه عبارة بنقوش لا أعرف معناها لكنني ميزتها فوزًا. اتسعت عيناي وأنا أخرج عصا أبي من حقيبتي وأقارن المنقوش عليها بالمكتوب على الصورة تحته اسم ديهيا بالإنجليزية.

لا أعرف من أي اتجاه تقرأ هذه اللغة، لكن من اليمين رأيت رمزًا يشبه رقم خمسة، ثم حرف إس الإنجليزي حاد الزوايا، ثم دائرة كبيرة يقطعها خط رأسي، ثم ما يشبه رقم أربعة حاد الزوايا، ثم رقم ثمانية.

ديهيا..

اسمها مكتوب مع كلمة أخرى على عصا أبي، ورأيته على السماء في حلمي، أم تراه رؤية؟ بحثت عن شكل اللغة الأمازيغية فوجدت أن استنتاجي كان صحيحًا.

السؤال الأهم هو، ما علاقة ملكة أمازيغية بي وبأبي وبالشياطين؟ أين عساها تكون أرض ديهيا؟ في المغرب أم الجزائر؟

«آدم.. العصا!»

نظرت إلى المكتب حيث عصا أبي، لأجدها تتحرك حول محورها ببطء ثم تتوقف. حركتها في قلق إلى وضع آخر، ومكثت أنظر إليها. بعد دقائق بدأت في الاهتزاز ثم دارت حتى توقفت عند موضع معين.

خرجت إلى الشرفة وكانت الشمس تميل إلى المغيب، ثم نظرت إلى العصا. عدت إلى الحجرة فوضعت العصا على الأرض. ربما كان المكتب مائلًا إلى اتجاه معين.

بعد ثوانٍ، تحركت العصا وعادت إلى سابق عهدها. جلست على الأرض أنقل عيني من منظر الغروب إلى العصا محاولًا ترويض فكرة تتفلت مني.

الرموز.. السماء.. الحلم.. النجوم..

رأس العصا تشير إلى الجنوب الغربي تقريبًا مع ميل أكبر ناحية الغرب!

ماذا يوجد جنوب غرب القاهرة؟

***

في المساء وقفت على سطح البناية ومعي بوصلة اشتريتها وخارطة لمحافظات مصر، وبالطبع عصا أبي.

ذو الرمح قابع في ركن مظلم لا يتحرك منذ أن ظهر في شقتي بعد المغرب، حتى أنه ظهر معي هنا أيضًا. كان يراقب بعينين زرقاوين ما أفعل. كنت أرتعد لمجرد أنه موجود. كيان ضخم شرير لا أعرف ماذا يريد مني. الحقيقة أن محاولات قتلي كانت أقل إثارة للذعر مما يفعله بي حاليًا.

كنت أشعر أن شياطيني تراقبني في صمت، وقد كفوا عن الأنين. هل يخشون ما قد أتوصل إليه؟ هل يخافون ذا الرمح؟ هل تذوي طاقتهم؟

وضعت العصا على الأرض فدارت إلى الجنوب الغربي، وضعت جوارها البوصلة كي أحدد الاتجاه بدقة، ثم أنظر إلى ماذا يشير على الخارطة.

ما أبحث عنه قد يكون في أي مكان بدءًا من جنوب غرب القاهرة حتى حدود ليبيا، مرورًا بمنخفض القطارة وسيوة. أم أن العصا تشير إلى مكان ما في ليبيا أو جنوب الجزائر؟

كلما ظننت أنني قد اقتربت خطوة، ابتعدت عني وجهتي أكثر وحجب عني هدف: الانتقام.

رفعت عيني إلى السماء وقد شعرت بيأس غريب. من يكون أبي حقًا؟

السماء.. حلمي.. الرموز على العصا.

مرة أخرى أحدق إلى السماء، فألاحظ مواضع النجوم الكبرى وتشابه نسبة المسافات بينها إلى نسبة المسافات بين النقوش على عصا أبي.

السماء هي الخارطة. لكن كيف أعرف المكان الذي سأتوقف عنده؟ هو بالتأكيد عند موضع آخر نجم، لكن الأرض تدور وموضع النجوم يتحرك

في السماء.

نزلت سريعًا قاصدًا شقتي، ثم فتحت الحقيبة وأخرجت كتابي أبي عن السحر الرموز. السحر يعتمد بشكل كبير على التنجيم ومواضع النجوم والكواكب.

سأجد ضالتي هنا، وإلا فلن أجدها في أي مكان آخر.

نظرت نحو الركن لأجد ذا الرمح يقوم واقفًا، ثم يختفي.

****

الفصل السادس

حين حكيت هذه القصة لسهير زاهر لم تصدقني. لم تصدق أنني تحملت شياطين داخلي وحولي ومع ذلك كنت أفكر بصفاء ذهن إلى هذا الحد.

صغيرتي سهير، أنا لا أملك سوى عقلي وثأري والغضب الذي تبثه شياطيني في عروقي. لا أستطيع الانتحار، ولا أستطيع العيش كباقي الناس.

أنا ملك التكيف منذ صغري. سيد الانحناء حتى تمر العاصفة، ولم يكن ما مر به عاصفة، بل إعصار مستمر يدور بلا توقف.

يجب أن أثأر لأخي وأمي. يجب أن أعرف من أنا ومن كان أبي.

يجب ألا أدع للشياطين سيطرة علي. لا بد وأن أكون سيد أمري.

استخرجت أوراقًا بدلًا من تلك التي فقدتها، بالطبع أثرت ذعر العديد من الموظفين الأبرياء، لكنني كنت أحتاج إلى بطاقة شخصية. ساعدني فريد -أتذكرونه؟- في بعض الخطوات مقابل المال. كنت أعرف أنني سأحتاج بشريًا لا يخشاني، ومن حسن حظي أنني وجدت من يشترى بالمال كذلك.

أجّرت سيارة دفع رباعي وبدأت رحلتي متوجهًا إلى حيث يشير النجم

«الراقص»، فعصا أبي لم تكن على هيئة ثعبان، بل تنين مُرصع بنقوش ترمز إلى نجوم كوكبة التنين.

لا أعرف إلامَ ستقودني رحلتي، لكنني عرفت أنني في الاتجاه الصحيح حين كف ذو الرمح عن الظهور وحين صمتت الشياطين بداخلي في ترقب.

أنا قادم يا ديهيا.. لكنني لا أعرف حتى الآن إن كنت سأكون لك ابنًا بارًا.

***

النهاية

العدد القادم

كاهنة الأوراس